أدب الشعوبية فى العصر العباسى

إعداد /د. إسماعيل عبد اللاه مصطفى

مدرس الأدب والنقد بالكلية

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفصح العرب أجمعين وعلى آله وأصحابه ، أرباب الفصاحة وأساطير البلاغة وفرسان البيان ، فرضى الله عنهم ورضوا عنه . أما بعد فموضوع هذا البحث :

أدب الشعوبية فى العصر العباسى

وقد تناولت فى هذا البحث النزعة الشعوبية منذ نشأتها فى عصر ما قبل الإسلام وفى عصر صدر الإسلام وفى عصر بنى أمية ، وفى العصر العباسى ، وإن كانت لن نعرف بهذا الاسم لم نصر مذهبا يقتصه الناس إلا فى هذا العصر أى العباسى الذى ذاعت فيه وانتشرت ، فتحدثت عنها فى إيجاز لأن الحديث عنها متسع ومتشعب لا يتسع البحث لتناوله بالتفصيل ، وقد انتهجت فى هذه الدراسة المتواصفة فبدأت بالمقدمة وبينت فيها أهمية البحث وتمهيد عن الشعوبية وكيف نشأت : -

وسبعة فصول : -

الفصل الأول : - الشعوبية فى عصر ما قبل الإسلام .

الفصل الثانى : - الشعوبية فى عصر صدر الإسلام .

الفصل الثالث : - الشعوبية فى عصر بنى أمية .

الفصل الرابع : – الشعوبية فى العصر العباسى .

الفصل الخامس : – نماذج من الشعراء الشعوبين .

الفصل السادس : –الصور التى حاربت بها الشعوبية العرب .

الفصل السابع : – دفاع العرب ودورهم على الشعوبيين .

ثم تلت ذلك غاية وبها أهمية البحث ونتائجه وقائمة بمصادر البحث

هذا وبالله التوفيق،،

د/ إسماعيل عبد اللاه مصطفى

مدرس الأدب والنقد بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية ـ للبنين بقنا

تمهيد عن الشعوبية :

الشعوبية : ترعة تغلغلت فى صدور جماعة من الموالى الذين دخلوا فى الإسلام ، وخضعوا السلطان العرب ، وهى اعتقادهم أنهم أذكى من العرب نسبا ، وأطيب منهم عنصرا وأعرف حضارة ومدنية فالشعوبية : لفظ مأخوذ من الشعوب جمع شعب ، وهو : جيل من الناس أوسع من القبيلة وأشمل قال الزبير بن بكار ، الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة . وعلى هذا فالعرب شعب ، والفرس شعب والروم شعب وهكذا - وقد ذهب قوم إلى أنها : مأخوذة من الشعوب فى قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل [١] وقالوا : المراد من الشعوب بطون العجم ، والمراد بالقبائل : قبائل العرب ، وهو تفسير شعوبى وضعه أعجمى ، واستطرد منه لقول بابن العجم أفضل من العرب لأن الله قدمهم فى الذكر ..

قال ابن عبد ربه : الشعوبية هم أهل التسوية ..

وفى صحاح الجوهرى : أن الشعوبية فرقة تفضل العرب على العجم . وقال ابن قتيبة : بلغنى أن رجلا من العجم احتج بقوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل [٢]

قال الشعوبية من العجم والقبائل من العرب . والمقدم أفضل من المؤخر قد كنت أرى أهل التسوية يحتجون بهذه الآية ، وغلطوا ذلك من وجهين الأول أن تقديم الذكر لا يوجب تقديم الفصل ، قال عز وجل " يا معشر الجن والإنس " [٣] فقدم الجن على الإنس والإنس أفضل من الجن ..

الوجه الآخر أن العجم ليست بالشعب أولى من العرب .. وكل قوم كثروا وانشعبوا فصاروا شعوبا ..

---

[١] سورة الحجرات الآية ١٣ .

[٢] سورة الحجرات الآية ١٣ .

[٣] سورة الرحمن الآية ٣٣ .

ومن الجائز أن يكون اسم الشعوبية أخذ من الشعوب بعد أن فسرت الآية بهذا التفسير ولكنه يكون مرتكزا على أساس خطأ وقد ذكر الأستاذ / أحمد أمين عن كتابة: ضحى الإسلام [١] ، أنه يرجح أن اسم الشعوبية لم يستعمل إلا فى العصر العباسى ويستدل على ذلك بدليلين : -

الأول : أن هذا النزعة التى تحاول مساواة العرب أو تحقيرهم لم تتخذ شكلا قويا واضحا يصح أن يطلق على مقتضية اسم إلا فى هذا العصر أما قبل ذلك فقد كانت نزعة خفية لا تستطيع الظهور ، وإذا ظهرت أخمدت .

الثانى :أنا لم نر من أطلق هذا الاسم على هذه النزعة فى العصر الأموى . نعم إن الأصفهانى فى كتابة الأغانى قال : إن إسماعيل بن يسار كان شعوبيا ولكن الواضح أن الأصفهانى وهو عباس سمى إسماعيل بالاسم الذى يستحقه لما دفع من شأن العجم ، وتغنى فى ذلك بشعره أمام هشام ابن عبد الملك ، وليس المعنى أن إسماعيل بن يسار عرف بذلك الاسم فى عصره ، [٢] كذلك روى عن شروق : أن رجلا من الشعوب اسلم فكانت تؤخذ منه الجزية فأمر عمر ألا تؤخذ منه . وشروق تابعى كان فى العصر الأموى . وقد فسر ابن الأثير الشعوب فى هذا القول العجم . وقال فى اللسان : يجوز أن يكون جمعا لشعوب ، وهو الذى يصغر شأن العرب كقولهم اليهود والمجوس فى جمع اليهودى والمجوسى [٣] ثم يذكر الأستاذ أحمد أمين أن أقدم ما وصل إلينا من الكتب التى استعملت لفظ الشعوبية كتاب البيان والتبين للجاحظ [٤] ، ثم ذكر النتائج التى أخذت من دراسته للشعوبية وهى : -

(١) أن دعاة الشعوبية بدءوا دعوتهم مستندين على تعاليم الإسلام نفسه ، فهو لا يفضل شعبا على شعب العقوبة أو التوبة عنده إنما وضعت على الأعمال لا على الأجناس .

---

[١] ضحى الإسلام ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

[٢] ضحى جـ / ص ٥٦ ، ٥٧ .

[٣] لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ٢٢٧٠ ط دار المعارف .

[٤] البيان والتبين للجاحظ -

(٢) أن الشعوبية لم تكن عقيدة محدودة التعاليم ، لها شعائر ظاهرة معينة كما تقول المذاهب الدينية هذا شافعى وهذا حنفى، فيمكن أن نحدد وجوه الخلاف والفروق فى الشعائر ، ولكن لا يمكن ذلك فى الشعوبية لأنها نزعة أكثر منها عقيدة .

(٣) مما ساعد على هذه النزعة الشعوبية أنها تساعد النزعة الوطنية والعصبية الدينية ، فالعرب أزالوا استقلال فارس وحكموا مصر والشام والمغرب وأهلها ليسوا عربا ومنهم من كان يكره العرب ويفضل غيرهم عليهم .

(٤) أن الشعوبيين كانوا أصنافا مختلفة ، من الفرس والروم والقبط والأندلسى وقد صبغت شعوبية كل صنف من هؤلاء صبغة خاصة ، فالفرس كانت صبغتهم وطنية واتخذت فى بعض الأحيان شكل زندقة وإلحاد ، والنبط . ظهرت فى شكل عصبية للأرض وزراعتها ، والقبط ثاروا ثورات مختلفة على العرب ، وأرادوا طردهم من بلادهم وكان آخرها ثورة كبيرة فى عهد المأمون فلما هزموا لجأوا إلى الكيد بأعمال الحيلة واستعمال المنكر ونكثوا بالتكاية بوضع أيديهم فى كتاب الخزرج..

(٥) هذه الشعوبية كانت درجات مختلفة تبتدىء معتدلة هادئة وتنتهى منطرفة عنيفة ، واختلفوا فى مناهجهم المناقضة العرب والإسلام منارة يحفرون العرب من حيث هم أمة ولم يتعرضوا للإسلام بمكروه وغير ذلك من الطرق التى ظهروا بها شعوبيتهم .

(٦) اتفقت بعض تعاليم الشعوبيين مع الخوارج والمعتزلة كرأيهم فى الخليفة الذى لا يشترط فيه أن يكون قرشيا بل ولا يكون عربيا وغير ذلك ..

(٧) يذهب ابن قتيبة إلى أن الذين اعتنقوا الشعوبية هم شعلة الناس - ونمو نمونا فيقول : ولم أر فى هذه أرسخ عدواة ، ولا أشد نصيبا للعرب من الشعلة والحشوة ، وأويأس النبط ، وأبناء أكرة القرى ، فأما إشراف العجم وذو الأخطار منهم ، وأهل الديانة يعرفون ما لهم وما عليهم .

ويرى الشرق نسبا ثابتا ، ولكن يظهر أن افتقر على من يتظاهر بالشعوبية وهؤلاء كانوا كما ذكر ابن قتيبة : أما الأشراف فكانت حركتهم سرية خفية لا

يجرءون أن يظهروا بها لكبر مراكزهم وخشية من الشك فيهم عند الخلفاء فهم يؤيدون من وراء حجاب هذه الحركة فلا يراها ابن قتيبة وأمثاله وقد ذكر ابن قتيبة أن ممن ذهب مذهب الشعوبية قوما تحلوا بحلية الأدب فجالسوا الأشراف ، وقوما إتسموا بسيم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلهم الأنفة لآدابهم والقصاصة لأغدارهم من لؤم مفارسهم ، وخبث عناصرهم ، فمنهم من الحق نفسه بأشراف العجم ، واعترى إلى ملوكهم واساورتهم ، ودخل في باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ، ومنهم من أقام على خساسته بنافح عن لؤمه ويدعى الشرف للعجم كلها ليكون من ذوى الشرف أو يظهر بفضل العرب ينقصها ويستفرغ مجهوده في مشائمها وإظهار مثالبها وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق بهما أنف ، وبآدابها تسلح عليها فإن هو عرف خبرا ستره ، وإن ظهر حقده ..

فالحق أن الشعوبية لم تكن في الشعلة وحدهم ، وهؤلاء الشعلة لم يكونوا الأخذين بزمامها ، وإنما كان معهم كثير من الطبقة المتعلمة الراقية وإن لم يرق نسبها إلى الملوك والأشراف ، وهؤلاء هم الذين كان لهم الأثر الشعوبى في الأدب والعلم ، ومن وراء هؤلاء طبقة بلغت أعلى المناصب في الدولة فكانوا يمدونهم سرايحاهم ومجالهم فقد ألف علاّن الشعوبى كتابا في مثالب العرب فأجازه ظاهرين الحسين عليه بثلاثين ألفا ، وإن كان هؤلاء العقلاء الماكرون هم رؤساء هذا الدعوة كانت حربهم علمية أدبية دينية أكثر منها توارث ظاهرة .

وقد بلغت هذه النزعة أوجها في القرن الثالث وساعد على ذلك أن الخلفاء والعباسيين تعصبوا للإسلام ولم يتعصبوا أكثرا للعربية فحاربوا الزندقة ولم يحاربوا النزعة العجمية ، وذلك طبيعى لأن أكثرهم كما وضحنا مولدون ، ولفى العرب من العجم عنتاً شديدا فالوزراء أكثرهم عجم والدسائس تدس في التصور لإضعاف شأن العرب وإذا ثار العرب حروبهم أو في الأطراف تكل بهم قواد العجم وجيوشهم أشد تنكيل .

وجدت هذا التعصب في الشعر العربى وهو ما ندرسه إن شاء الله .

الفصل الأول
الشعوبية فى عصر ما قبل الإسلام

كان العالم قبل الإسلام يعيش فى ظلام دامس وضلالة عمياء بلا قانون مردع ولا شريفة تمنع ولا شريعة تمنع ولا مروءة تعصم ، بل النوة والعصبية هما راس الحكم ، وكانت الإنسانية قبل ظهور الإسلام فى وحشية ضاربة ، وهمجية ضالة واستبداد مروع ن وعقائد فاسدة وكان الجهل والفوضى حماستة الحياة ، فهناك الرؤساء الظالمون وهناك الطغاة المستبدون الذين لا يؤمنون بحق من هذا المنطلق أصبح منطلق القوة هو السائد ، وأصبحت النزاعات بين البلدان والمماليك أو خاصة إذا كانت متجاورة مستمرة ’إذ كانت تقوم الأتفة الأسباب .

ومن هذه الصراعات والمنازعات تلكم الصراعات التى دارت . رحاها بين العرب والمفرس من ناحية ، وبين العرب والروم من ناحية أخرى والتى جاءت نتيجة الجوار ولشعور الفرس بأنهم أذكى من العرب حسا ، واحسن منهم طبعا ، وأقدم منهم حضارة وبأيد لهم حضارة ليست للعرب ومدنية لم يرق إليها العرب .

إذا كان العرب فى نظرهم بدور حل لا تقوم لهم دولة ، ولا يستقر لهم كتابة ، ومن أجل ذلك قامت عدة معارك أشهرها يوم ذى قار والذى انتصر فيه العرب ، ويعتبر هذا اليوم من الوجهة العلمية بدء ظهور الكراهية على نحو أقوى ، ونواة لقيام الكيان العربى فى إطار المشاعر المشتركة تجاه دخيل أ. أجنبى .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذا حين وصفه بأنه أولى عصر بتنصف فيه العرب ، ولذلك نجد الأعشى فيقول ويفتخر بذلك .

لو أن كل معد كان شاركنا ... فى ذى قار ما أخطأهم الشرف
لما أتونا كان الليل يقدمهم ... مطبق الأرض بغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة ... من الأعاجم فى آذانها النطق
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم ... ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
وكر خيل فما تنفك ؟؟ ... حتى تولوا وكاد الليل ينتصف

وبعد فهذه عجالة سريعة موجزة عن الشعوبية فى عصر ما قبل الإسلام [1]

---

[1] الأدب فى عصره الدهبى للدكتور / عبد الرحمن عثمان ص ٦٠ .

الفصل الثانى
الشعوبية فى عصر صدر الإسلام

جاء الإسلام فسطح بثورة على الأفئدة ، واشرف بهدايته على النفوس وعمد إلى قلوب العرب فظهرها من ضغائنها واستل احقادها وسخائمها من مكامنها وجعلهم أخوة تتكافؤ دماؤهم لا ضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى وأذهب عنهم نخوة الجاهلية ، والتفاخر بالأباء ، فكلهم لآدم وآدم من تراب . [١]

فتوحدت القلوب وتكونت الأمة الإسلامية الواحدة تحت قيادتها الرشيدة واتجه المسلمون إلى فتح فارس والروم ومصر وغيرها فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جاء بعده ودخل العجم فى دين الله أفواجا مفتونين بسماحة الإسلام ليتفيئوا ظلال المساواة التى قررتها نصوصه الصريحة ، وليجدوا الأمن والطمأنينة فى رحابه الفسيحة الآمنة فهم يحدون فى دستوره القرآنى وأنه نظام لا يميز جنسا على جنس وعدالة لا تنتظم طبقة دون أخرى فالأجناس فى نظره سواء والطبقات أمام احكمه فى مستوى واحد لا فرق بين عربى وأعجمى لا يختلف أسلوبه الآمر الحازم تجاه الأقوياء والضعفاء ، وكانت هذه الشعوب قد ألمها بطن الكاسرة ، وأذل كبرياءها حيروت البياصرة ، وأنهك قوتها قانون ألقاب ، فلما وجدوا فى حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ما كانوا يتطلعون إليه من تحطيم قيود ذلتهم واستعبادهم أسرعوا إلى الدخول فى الإسلام يلتمسون فيه العزة التى ذهب بها بطن أولئك وحيروت هؤلاء ، وأخلق حدتها صولة القوى على الضعيف واستهانة ذوى الشوكة بمن لا حول لهم ولا قوة . [٢]

تمتع هؤلاء الأعاجم بحقوقهم المشروعة التى حرموا منها فترة طويلة

وذلك فى ظلال هذه الدعوة الركية التى حرموا منها فترة طويلة وذلك فى ظلال هذه الدعوة لكية التى ألفت الفوارق الاجتماعية ، وقضت على المنازعات

---

[١] الشعوبية فى الشعر العربى للدكتور حسن جاد ص .

[٢] الأدب فى عصره الذهبى ص ٦٨ وما بعدها .

والعصبيات ــ فليس هناك عظيم وحقير وأبيض وأسود بل الناس كلهم سواء فكلهم لآدم وأدم من تراب الأفضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، والقرآن الكريم يقرر المساواة بين الناس جميعا فى قوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتفارقوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . [١] وذلك ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله " الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى " فنعمت الجزيرة الجزيرة العربية بالأمن والاستقرار فى عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وفاضت عليها الخيرات نتيجة الفتوحات التى تمت فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وسادت العدالة ، وانتفع بها المخلصون للإسلام ، وغيرهم مما تظاهر بالإسلام من شتى الأجناس والديانات من فرس وروم ومجوس ويهود ونصارى وهؤلاء جميعا كانوا يحقدون على الإسلام لأنه حطم أديانهم وهدم عقائدهم وفتح بلادهم ، وإننا نلمس هذه الصفة فى اليهود وكثير من كبار الفرس وأتباعهم القدامى من السرى فى بلاد المسلمين ، وقد برزت شعوبيتهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين فى مناسبات كثيرة فيها وأهمها مصرع الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى أجهد نفسه وأهله الصالح المسلمين عامة من عرب وعجم بضربة خنجر ، ولكن ذلك قد كان حتى يعلم الناس أنه ليس فى مكنة إنسان أن ينال رضاء الناس ، وأين أعدل الحكام لا يستطيع إرضاء جميع أفراد رعيته ، فإن عمر إذا كان قد أرضى العرب بعد له وبره وشفقته ، وأرضى عامة العجم بما أفاضى عليهم من العدل فقد أعقب رؤساءهم وأصحاب السلطان منهم لأنه ثل عروشهم وجعلهم كأحاد الناس ، فلا سيد ولا سود ولا عظيم ولا حقير ، فالكل سواسية . [٢]

ثم يذكر الدكتور زيادة ، أن وراء ذلك أسباب حقيقية ، فالغيظ والحقد على الخليفة والمسلمين الذين دوخوا الفرس وثلوا عروشهم ، وأعلو كلمة الإسلام على سائر الأديان ، ويذكر بعد ذلك مما رواه الثقاة بان مقتل الخليفة عمرو رضى الله عنه كان نتيجة مؤامرة سياسية ، ووليدة اتفاق .

---

[١] سورة الحجرات الآية ١٣ .

[٢] شروق الإسلام من جزيرة العرب للدكتور / محمود زيادة ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

وأن الهرمزان هو الذى دبر قبل عمر لاعتقاده أن الدولة مستضعف بعد مصرعه بالاختلاف والانقسام ، وقد كانت البعثة فى عهد عثمان وعلى يد مولى هو ابن سبأ .

الفصل الثالث
الشعوبية فى العصر الأموى

تولى بنو أمية الحكم بعد الفتنة الكبرى وبعد الخلاف الشديد على الملك والسلطان وافتراق العرب فى الإمرة والولاية إلى شيع وأحزاب وخصوم وأعداء كل هل هوى ، وكل له مأرب ، وقد انحرف خلفاء بنى أمية عن النهج السوى عدا عمر ابن عبدالعزيز ، وتكبوا منزوعين بمنطق السياسة جادة الحق إذا جعلوا من العرب سادة حاكمين ، ومن العجم عبيداً وأحراء محكومين ، وكان لابد لهم أن يخالطوا المحكومين مخالطة تحتمها ضرورة تبادل المنافع ويقتضيها التعاون المشترك بين جنسين إما بدين واحد وتفاهماً بلغة واحدة ، وربطتهما أسباب الحياة برباط لا انفصام له وإن سلب الأمويون العجم حقهم فى المساواة بالعرب ، وأنكروا أن يصير الأعجمى والياً أو إماماً يصلى بالناس .

ولقد كان العرب حينذاك على دين بنى أمية ، فالناس فى كل عصر على دين ملوكهم إنهم يخالطون العجم ولكن فى تحفظ غير قليل ، وهم يشاركونهم حياتهم ولكن ذلك بمقدار وإن الخلفاء الأمويين وولاتهم تعصبوا للعربية تعصباً قوياً جعلهم يحقرون ما عدا العرب وكتب ، وكتب الأدب وحوادث التاريخ مملوءة بالشواهد على ذلك منها مثلا " أن أهل المدينة كانوا راغبين عن التسرى ببينات الأعاجم ذهاباً منهم عن الارتكاس فى مثل هذا الأمر، وإشفاقا على أعقابهم بهم أن يعبروا بدم أجنبى فى موقف الفجر وموطن التباهى بالأنساب ،وتلك كما يبدو ظاهرة جاهلية عرفنا لهم قبل الإسلام ، فلما نسل للحسين بن على رضى الله عنهما ولدا من الأجنبية ، هو على بن الحسين ، ولما رأى أهل المدينة فيه وفى أمثاله لمحمد بن القاسم وسالم بن عبد الله نجابة وودعاً واستمساكاً بالحق أقبلوا على التسرى بالأعجميات فى غير حرج أو تأثيم على أن شاعراً عربياً نقم على هذا ولم يرتضيه فى قوله :

أيـــن أولاد الســـــرادى كـــثروا يـــا رب فينـــا
رب أدخلنـــــى بـــــلادا لا أدرى فيـــها هجينـــا (١)

وقد روى أبو الفرج الأصفهانى فى أغانيه : أن رجلا من الموالى خطب بنتا من أعراب بن سليم وتزوجها فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينـــة ووالـيـها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، فشكا إليه ، فأرسل الموالى إلى المولى ففـرق بينه وبين زوجته ، وضربه مائتى سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه عقابا على أنه تزوج عربية فقال محمد بن بشير :

قضيـت لسـنة وحكمـــت عـــدلا ولـم تـرث الحكومـة مـن بعيـد
وفـــى المـــائتين للمولـــــى تكـــال فـــى سـلب الحواجـب والخـــدود
إذا كافأتـــهم بينـــات كســـــرى فـهل يحـد الموالـى مـن كزيـد
فـأى الحـق أتصـــف للموالـــى من صهار العبيـد إلـى العبيـد (٢)

هذا كله كان سببا فى أن الشعوبية لم تعلن ولم تتخذ شكلا ظاهرا فى عـــهد بنى أمية ، إلا إن اختلاف الأحزاب الحاكمة قد جعل لكل حزب عصبية وأنصـار مـن الموالى وأبناء الأعاجم ، فكانوا يناصرون الأحـــزاب السياسـية وينـافحون عنـها بشعرهم وقد وجدوا فى ذلك فرصة ينفذون منها إلى أغراضهم ، ويظهرون فضـائل شعوبهم ، ومن هنا ظهر لون جديد من ألوان الأدب ، وغرض مستحدث من أغراض الشعر ، وهو الشعر الشعوبى وقوامه الطعن على العرب ، والاعـــتزاز بالأعـاجم ، وخاصة الفرس ، والإشادة بحضارتهم ومجدهم ، وما كان لهم من ملك وسلطان ومن شعراء الشعوبية فى هذا العصر الأموى إسماعيل بن يسار واخوته محمد وإبراهيـــم وهم من عنصر فارس ، والحيقطان وهو من سلالة حبشية وابن أبى رباح وهو مـن اصل زنجى ، وغير هؤلاء ممن انضم إلى حزب يناصره وينافح عنـــه ، فكـان أبـو العباس الأعمى ينافح عن بنى مروان ويستبيح فى سبيل ذلك مجد أشـــراف قريـش خاصة ، والعرب عامة وأصله مولى من أذربيجان ، وكانت صلات بنى أمية ترســـل

---

(١) الأدب فى أزهى عصوره ص ٩ .
(٢) الأغانى جـ ١٤ ص ١٥٠ .

إليه فى مكة حج عبد الملك بن مروان مرة فدخل عليه هذا الشاعر فانشـــده شـــعرا هجاية الزبير بن العوام - فحلق عبد الملك على من فى المجلس من قرابتـــه ومـــن قريش ليكسونه كل واحد منهم ، فألقيت عليه الحلل والثياب حتى كادت تخفيه .

وكان إسماعيل بن يسار واخوته ذوى نزعـــة فارســـية يتعصبـــون للعجـــم وينقمون على العرب وكلهم شعراء .

قال أبو الفرج : وكان إسماعيل بن يسار شعوبيا شديد التعصب للعجم ولـــه شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم منه :

رب خـــال متـــــوج وعـــــم ... ما جد محتـــدى كريـم النصـاب
إنمـــا ســـمى الفـــوارس بـــالفر ... س مضاها فـــى رفعـــة الأنســـاب
فـــاترك الفخـــر بالعـــــام علينـــا ... واتركى الجور وأتطفى بـــالصواب
واسألى أين جـــهلت عنـــا وعنكـــم ... كيف كنـــا فـــى ســـالف الأحقـــاب

ويقول : -

من مثل كسرى سابور والجند معـــا ... والـــهرمزان لفخـــــر وتعظيـــم

ودخل إسماعيل بن يسار هذا على هشام بن عبد الملك فى خلافتـــه فأنشـــده شعرا قال فيه :

إنى وجهك ما عـــودى نـــدب خـــور ... عنـــد الحفـــاظ ولا حـــوض بمـــــهدوم
أصلى كريم ومجـــدى لا يقـــاس بـــه ... ولـــى لســـانم كحـــد الســـيف مســـموم
احمى به مجـــد أقـــوام ذوى حســـب ... مـــن كـــل فـــرم بتـــاج الملـــك معمـــوم
مجـــاميع ســـادة بلـــــخ مرازيـــة ... جـــرد عتـــــاق مســـاميح مطـــاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معـــا ... والـــهرمزان لفخـــــر أو لتعظيـــــم
أسد الكتائب يوم الـــروع إن زحفـــوا ... وهـــم أذلـــوا ملـــوك الـــترك والـــــروم
يمشون فى حلـــق المـــاذى ســـابغة ... مـــش الضراغمـــة الأســـد المـــــهاجيم
هنـــاك إن تســـألى تنبـــى بـــأن لنـــا ... جرثومـــة فـــــهرث عـــز الجراثيـــم

فغضب هشام بن عبد الملك وقال : أعلى تفخر وإيابى تنشد قصيدة تمدح بها نفسك والمدح قومك : غطوة فى الماء ففطوه حتى كادت نفسه تخرج ، ثم نفاه من وقته إلى الحجاز [١]

على أن هذا الشعور الذى كان يقلج فى نفوس الموالى لا يجد لإشاعته إلا أفاقا ضيفه كان مجاوبة ومدافعة لشعور اقوى منه شدة وأعنف حدة ، فقد كان العرب يحكم ما فيهم من طبيعة القبيلة وروح السيادة يأنفون من الموالى ، ويحقرون كل ما لم يكن عربياً ويرون أن الإشارة إلى الموالى لم تكن عيبا يروى أن جريرا نزل بقوم من بنى العنبر فلم يضيفوه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول :

يا مالك بن طريف إن بيعتكم ... وفدا لقرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعكه بيعا فقلت لهم ... بيعوا الموالى استحيلوا من العرب

قال المبرد : - إن خلة الموالى أنصت من هذا البيت لأنه حطمهم ووصفهم، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عيبا [٢]

وقال المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم خازر وهو اليوم الذى قتل به عبيد الله بن زياد : - أين عامة جندك هؤلاء الحمراء ويريد الموالى والحرب إن ضربتهم هربوا ، فاحمل العرب على فنون الخيل ، وارحل الحمراء أمامهم [٣] وكان الحجاج أحد أركان هذه الدولة الأموية ينفذ هذه السياسة فى شدة ودقة فقد وسم أيدى النبط بالمشراط وفى ذلك يقول الشاعر فى مولى : [٤]

لو كان حيالة الحجاج ما سلمت ... صحبته يده من وسم حجاج

ولما نزل الحجاج واسطا نفى النبط منه وكتب إلى عامله بالبصرة وهو الحكم بين أيوب يقول : إذا أتاك كتابى فأنف من قبلك من النبط فإنهم مفسدة للدين

---

[١] الأغانى جـ ١٢ ص ٤ .
[٢] الكامل للمبرد ١/ ٢٧٣ .
[٣] الكامل للمبرد جـ ١ ص ١٧٤ .
[٤] شرح نهج البلاغة جـ ١ ص ٣٣ .

والدنيا ، فكتب إليه قد نقيت النبط إلا من قرا منهم القرآن وتفقه فى الدين فكتب إليه الحجاج إذا قرأت كتابى فادع من قبلك من الأطباء ونم بين أيديهم ليقضوا عروقك فإن وجدوا فيك عرقا نبطيا فاقطعه والسلام [١] ولشدة احتقار العرب للموالى سموا بن العربى من الأمة هجينا .

ويذكر ابن قتيبة : أن العرب لا تزوج الهجين من الرجال وربما كان لأحدهم الولد من الأمة فاستعبده . [٢] وحكى الجاحظ : قلت لعبيد الكلابى ، وكان فصيحا فقيرا ايسرك أن تكون هجينا ولك ألف جريب ؟ فقال : لا أحب اللؤم لشىء قلت : فإن أمير المؤمنين أمه أمة. قال :أخزى الله من أطاعه[٣] هب أعرابى إلى سواد القاضى فقال : إن أبى مات وتركنى أعانى وخط خطين ناحية ثم قال وهجينا لنا - ثم خط خطا آخر ناحية ثم قال : كيف ينقسم المال بيتا ؟ فقال المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارثا غيركم : فقال له : - لا أحسبك فهمت إنه تركنى وأخى وهجينا لنا فقال سوار : المال بينكم سواء . فقال الأعرابى ، أيأخذ الهجين كما أخذوا أخواناً وأخى قال : أجل فغضب الأعرابى وقال تعلم والله إنك قليل الخالات بالدهناء [٤]

فكل ذلك يدل على ولاية قاطعة أن العرب كانوا يتقصون للعروبة والعربية ويحتقرون ما عدا العرب . هذه العصبية العربية كانت تقابلها عصبية أخرى من الموالى ، وخاصة الفرس ، وهم جديرون بان يأكل الحقد قلوبهم ، لأنهم كانوا سادة فأصبحوا مسودين ، وكانوا يفخرون على العرب بمجدهم الغير وعزهم التالد ، ويعتبرون أن حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر ، ولذلك تراهم يهتبلون كل فرصة لإظهار ما يضطرم فى نفوسهم من الحقد والبغض ، ولكن بنى أمية يكتبون هذا الشعور أعنف كتب كما حدث لإسماعيل من يسار مع هشام ابن عبد الملك . فقد روى صاحب الأغانى : إن إسماعيل من يسار هذا استأذن على القمر بن يزيد بن عبد الملك يوما فحجبه ساعة ثم أذن له فدخل يبكى ، فقال القمر : يا ابا فائد أتبكى ؟ قال : وكيف لا أبكى وأنا على مروانيتى ومروانية ابى أحجب عنك فجعل القمر يعتذر

---

(٢) محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٢١٨ .

(٢) المسائل والأجوبة .

(٣) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٧ .

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة جـ ٢ / ٦١ .

إليه وهو يبكى فما سكت حتى وصله القمر يحمله لها قدر ، وخرج من نعده فلحقه رجل فقال له اخبرنى ويلك يا إسماعيل أى مروانية كانت لك ولأبيك ؟ قال بعضنا إياهم . امرأته طالق أين تكن أمه تلعن مروان وآلة . مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له : قل لا إله إلا الله فقال : لعن الله مروان تقربا بذلك إلى الله تعالى وإبدالا له من التوحيد وإقامة له مقامه . (١)

فكرة الموالى الحكم الأموى كراهية عميقة فسعوا فى إسقاطه . فهذه النزعة التى أخمدها الأمويون قد اتجهت إلى دعاية خفية ضد بنى أمية وانتهت بقيام دولة بنى العباس .

يذكر الدكتور حسن جاد فى كتابه - الشعوبية فى الشعر العربى : إن الشعوبية لم تأخذ مشكلا علينا فى عهد بن أمية لأسباب ترجع إلى عروبة الدولة ، وبالغ اعتزازها بأصالتها ، وفرط تنبه الخلفاء والأمراء والرعية والشعراء ، إنما كانت الشعوبية تفئات ومخالسات تنبعث فى ألوان براقة من الدفاع عن الأحزاب السياسية والمحاماة دونها فكانت كالسم فى العسل جميل المظهر قابل المخبر (٢) وتستطيع بعد هذا العرض الموجز للشعوبية فى عصر بنى أمية أن تقول أين الشعوبية لم تأخذ الشكل العلنى ، ولم تظهر من مكامنها طوال هذا للأسباب المتقدمة ، وأرى أن العصبية القبلية التى أحيتها السياسة الأموية ، واحتقارها لكل أجنبى عنها ، من روم وفرس وترك وغيرها إذا كانت كل قبيلة تفخر على غيرها بشعرها ، وتنسب كل مفخرة للعرب ، ولا تذكر شيئا من هذا للموالى الذين كانوا أصحاب سيادة فى قصورهم ، والتى دالت بعد الفتح الإسلامى والذى كان سببا فى حقد الموالى على العرب ، والعمل على تفويض ملكهم وإزالته ، وذم العرب وسلب مفاخرها ، ويرجع الدكتور / عبد الرحمن عثمان فى كتابه و الأدب فى عصره الذهبى صـ ٣١ (١) وما بعدها الأسباب التى أدت إلى تفويض حكم بنى أمية يقول : إن حكم بنى أمية قد اتسم بأمرين بارزين كان لهما خطرهما فى تفويض والإتيان عليها من القواعد كما كان

---

(٢) الأغانى جـ ٤ ص ١٢٥ .

(٢) الشعوبية فى الشعر العربى ص

(١) الأدب فى عصره الذهبى ص ٣١ وما بعدها .

لهما الفضل الأكبر فى إرساء قواعد الدولة العباسية وتمكين سلطانها فى المملكة الإسلامية المترامية الأطراف :

وأول هذين : شدة الأمويين على بنى هاشم وتنكيلهم بأشرافهم وأتباعهم تنكيلا عطف عليهم القلوب ، وأحنق من أجلهم فكتبهم نفوسا نكرة البغى وتنفر من البطش والعدوان ، نفى الشام حيث مقر الخلافة مجازر ، وفى حصر وفارس ، وحيث الولاة المتملقون منا مات وأحزان، وفى قلب الجزيرة العربية فتك بمن تسلمه الخيانة إلى سيوفهم ، فليس فى آل البيت فى الحكم الأموى إلا من أهدر دمه أو من ينتظر مصرعه ، فكانوا ينبذون فى نظر السياسة الأموية بأنهم معاول الهرم فيما استحدث معاوية لآل حرب فى الإسلام ذلك المجد الذى يحرصون عليه حرصهم على حياتهم ، وينافحون عنه بشىء الوسائل ، وأفشى الأساليب .

وثانيها : - إسراف الأمويون فى تحضير العجم ولتهوين من أمرهم بإقصائهم عن المناصب وقصرهم على الحرف المهنية ، وصرفهم إلى الزراعة والصناعة ، لأن العربى فى زعمهم لا يحمل به أن يترك إلى مستواها أو تمنهم سيادته فى غمارها ، فالعرب فى حكومتهم سيد شيوع فى حين أن الأعجمى وإن حسن إسلامه وأبلى فى الجهاد بحيث أن يبقى كما أرادوا له سوءا تابعا . والأمويون فى كلا الأمرين قد تجاهلوا نصوص الإسلام وروحه بل خرجوا عن تعاليمه السمحة غل ما شرعت لهم أهواؤهم ، وجنحت إليه أغراضهم ، ولهذا تراهم يتعللون فى هذا الصدد بأن نظام الحكم وسلامة الدولة يحتمان إزاحة الأعداء من بنى هاشم فى صلابة لا تعرف اللين وفى قسوة لا تخالطها رحمة أو إشفاق ، ولهذا فقد سلفوا عليهم الجبارين القتاة من ولاتهم ، وثبتوا العيون تطلبهم فى كل مكان . وقد نراهم يرمون ربط عزتهم التى استحدثتها الحيلة والذكاء بسيوف عربية من أهل الشام واليمن مما كان لهم من عزة فى الجاهلية تلك العزة التى ذهب بها تلكؤ كبيرهم أبو سفيان فى قبول دعوة الرسول صلى الله عيه وسلم وإقامته على الجحود والشرك حتى عام التح فلما لم يجد من الإسلام بدأ اسلم محبرا أو مختارا ، فمشى هو وآله فى إعجاز الركب الإسلامى الزاحف من نصر إلى نصر ، وفى مطالح هذا الركب رأى آل حرب من كانوا يستضعفون فى مكة من الفقراء والعبيد من المهاجرين الأولين ،

وطالما شق عليهم أن يتقدمهم أمثال بلال ونصيب الرومى وسلمان الفارسى ، ولكنهم لم يجرؤ أن يكشفوا شيئا عما فى نفوسهم أمام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأن عدالة الدين الذى جاء به تقرر فى صراحة لا لبس فيه : إن أكرمكم عند الله أتقاكم وتؤكد أن الناس سواسية كأسنان المشط ، وتفصح عن بيان حاسم أنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، فلما مات الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يرهبون ذهبوا إلى خليفته الصديق يشكون إليه حرمانهم من المناصب التى سعت إلى صفقاء مكة بعد أن عزوا بسبقهم إلى الإسلام وكانوا واهمين فى عطف أبى بكر ، وهمهم ان يجعلوا من العصبية ما يشفع لهم أن يحتلوا أماكن هؤلاء الذين قدمهم جهادهم فى سبيل الدعوة ، وزكتهم أعمالهم لولاية المسلمين ، ولم يجد لصديق ما يقوله لهم كجواب ناجح على ما شكوا منه إلا قوله . لقد جئتم إلى الإسلام متأخرين ، فأدركوا إخوانكم بالجهاد ، ولهذا كله شاء بنو أمية حين أمكنتهم الفرصة أن يرسوا قواد دولتهم على العصبية المتطرفة والخلفاء وأولياء العهد من بنى حرب ، والولاة المقربون من العرب يغيرون لهم بالخلافة ، والذين يقتلون فى سبيل دولتهم شاعرين أنهم يقتلون فى سبيل الله .. وقد دعاهم إلى هذا ما كانوا يحسون به من حب لآل البيت .. فالموالى قد اعتنقوا الإسلام على أنه مساواة والموالى يحبون صاحب الدعوة وآله حبهم لأنفسهم أو أشد ألم يقرءوا فى التنزيل قول الله تعالى : " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى " إذن فالعجم فى تفسرين أمية لا يعرفون إلا الإسلام وحده ، ولا يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم الذى جاء به ما داموا فى جهل عن مجد الأمويين فى الجاهلية فليس لهم مكان فى هذا الذى نبته العصبية فى الإسلام ليكون امتدادا لما كان للأمويين من مجد فى الجاهلية

وهذا منطق قد يستقيم فى كل شىء إلا منطق الإسلام الذى يدين به الموالى والعرب على السواء .

ولقد أفضت الحديث عن الشعوبية فى العصر الأموى ، وذكرت السببين الأساسين فى هدم ملك الأمويين وإمكانه ملك بنى العباس مقامه . على أن هذه العصبية من الموالى لم تمكن من عامة الفرس والموالى لن منهم من دخل الإسلام إلى أعماقه ، وكانوا يسمون بالتابعين كما يقول الأستاذ / أحمد أمين فى كتابه ضحى

الإسلام ثم يذكر ان الموالى لم ينسوا أن للعرب عليهم نعمة لا تقدر وهى أنهم هدوهم إلى الإسلام واستنقذوهم من خلال المجوسية إلى هداية الوجدانية ... هذا عن الشعوبية فى عصر بنى أمية وما كان لها من أثر فى هدم دولتهم وإقامة دولة بنى العباس .

الفصل الرابع
الشعوبية فى العصر العباسى

ذكرت فيما سبق أن اضطهاد الأمويين لآل البيت كان سببا فى تفويض ملكهم ، فكان لهذا الاضطهاد نتيجة حتمية لا مفر منها ، فالمصائب تجعل المصائب ، والقلوب الممتحنة يتعاطف بعضها مع بعض ، فإذا اجتمع إلى هذا قرابة الدم وصلة الرحم ، فإن التلاقى يكون اشد وقوى واقسى فقد خطأ العلويون إلى إخوانهم العباسيين خطوة إيجابية ملقين إليهم السلم أمام هذا البغى الأموى الذى يحيط بهم جميعا فى هول وقوة ، ويمدون إليهم بدا مصافحة بالعهد الذى هو غاية الفريقين فقد اتحد الفريقان واجتمعا على كلمة واحدة ليحققا هدفهما وهو القضاء على دولة بنى أمية .

ويحدثنا التاريخ السياسى عن أمر هذا الاتحاد بان على بن عبد الله بن عباس كان يقيم بقرية الحمية بالشراة [1] إقامة بها عبد الملك بن مروان على ألا يتحول عنها ، فيترك عليه أبو هاشم بن ابى طالب راس الشيعة فى ذلك العصر فحين دنت وفاة هاشم بن أبى طالب راس الشيعة فى ذلك العصر فى حين دنت وفاة هاشم أولى بنصيبه من الخلافة إلى على وأولاده ، لما رأى . من على بن عبد الله من لدد فى خصومة الأمويين وتكتم شديد فى بث دعوة آل البيت ، وأوصى أتباعه من الكيانية أن يقفوا إلى جانب الزعيم العباسى وأن يكونا معه على الأعداء ، وإن كان هذا الاتحاد ليس محل إجماع من المؤرخين وقد تسلم الزعامة بعده ابنه ، وكان يمتاز بالذكاء والتدبير والحزم وبعد النظر فنظم دعوته تنظيما قويا ، وبث دعاته وأعوانه فى شتى الأقاليم وأمرهم بالتلطف والكتمان وإظهار الطاعة لولاة بنى أمية ،

---

[1] الشراة : من أصقاع الشام على طريق المدينة من دمشق .

وجعل قلب الدعوة لهذا الأمر بلاد خراسان ، فاحتضن أهل خراسان الدعوة وابلـــوا سبيلها بلاء حسنا سواء فعلوا ذلك لوقائهم لبنى العباس أم فعلوه تشفيا من الأمويين ، فغن العباسيين اعتمدوا فى قيام ودلتهم وإرساء قواعدها على الفرس وغيرهم مـــن الموالى هذا بالإضافة إلى كراهية الموالى للحكم الأموى كراهية عنيفة ساعدت فـــى إسقاطه وقد كانت وجهة الموالى فى إسقاط هذه الدولة كما يذكر الأستاذ / أحمد أمين : أن الأمويين لم يعدلوا فى حكمهم لهم وأن يترقبوا انتقال الأمر من خليفة ، فكـــان ولاة بنى أمية كلهم فى نظرهم ظالمين إلا عمر بن عبد العزيز .. وكانوا يقولـــون : ليس فى الإمكان أن يتحول الأمر من العرب إلى الفرس ، فيكونوا هم الحاكمين ، لأن السلطة الكبرى لا تزال فى يد العرب ، ولأنه إذا أثيرت هذه الدعـــوة تجمـــع العـــرب وغير الفرس من الموالى علينا فكانوا يدعون إلى نقل الخلافة من يد الأمويين إلـــى الهاشمين ، لأن القلوب مستعدة لقبول الدعوة لأن الهاشمين عرب ولأنهم أقرب إلـــى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمويين ، وهذا فى نظرهم يســـرع فـــى قبـــول الدعوة ويصبغها بصبغة دينية ، وكانت وجهتهم فى ذلـــك انـــهم إذا وقفـــوا بجـــانب الهاشمين ــ فيعرف الهاشميون لهم هذا الفضل ، فيتقربون من ولاتـــهم ، ويكـــون ظاهر الحكم للهاشمين وباطنه للموالى ، يتولون فيها المناصب العاليـــة ، ويدبـــرون شئون الدولة ، وتترك للهاشميين ابهة الخلافة ولعل هذا أهم ما كان يدور فـــى خلـــد المؤسسين من الفرس للدعوة العباسية ..

قال نصر بن سياد يخاطب التراية واليمانية ويحذرهم هذا العـــدو الداخـــل عليهم بقوله :

ابلـــغ ربيعـــه فـــى مـــرو اخوتـــــهم ... فليغضبـــوا قبـــل ألا ينقـــع الغضـــــب
ولينصبوا الحـــرب إن القـــوم نصبـــوا ... حربا يحـــرق مـــن حافاتـــها الخطـــب
مـــا بـــالكم تلحقـــون الحـــرب بينكـــم ... كأن أهل الحجاز عـــــن رأيكـــم عـــرب
وتـــتركون عـــــدوا قـــد أظلمكـــــم ... ممـــا تـــأثب لا ديـــــن ولا حســـــب
قدما يدينـــون دينـــا مـــا ســـمعت بـــه ... عن الرسول ولـــم تـــنزل بـــه الكتـــب

فمن يكن سائلا عـــن اصـــل دينـــهمو فـــإن دينـــهمو : أن تقتـــل العـــرب[١]

وكتب إبراهيم الإمام لأبى مسلم الخراسانى : إن استطعت ألا تدع بخراســـان أحد يتكلم بالعربية إلا قتلته ، فافعل وأيما غلام بلغ خمسة اشـــباد تتهمـــه فاقتلـــه ، وعليك بحضر فإنهم العدو القرب الدار ، فأبد خضراء هم ولا تدع على الأرض منهم ديارا [٢] عرف العباسيون للفر من ويروى الأصمعى أنه قال .. ولكن الأفضل تركـــها والفاء فى دولة بنى العباس شأن كبير ونال الفرس بعـــض أمنيتـــهم لا أمنيتـــهم لا أمنيتهم كاملة ، فأمنيتهم الكالمة أن تقوم دولة فارسية بملوكها وعمالها ولكـــن مـــا نالوه ، فأمنيتهم الكاملة أن تقوم دولة فارسية بملوكها وعمالها ، ولكن ما نالوه قليل الخطر فالخلفاء العباسيون مقتنعون أن دولتهم قامت على أكتاف الفـــرس ، وكذلـــك العلماء والمؤرخون فداود بن على يخطب فيقول : يا أهل الكوفة إنا والله مـــا زلنـــا مظلومين متهورين .على حقنا حتى أتاح الله لنا شيقتا أهل خرسان فأصابهم حقنـــا ، وأفلح بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتـــم بـــه تنتظـــرون وإلســـيه تتشوقون فأظهر فيكم الخلية من بنى هاشم ويبض به وجوهكم وأدمكم علـــى أهـــل الشام [٣] .

وأبو جعفر المنصور يقول : يا أهل خرسان انتم شـــيعتنا وأنصارنـــا وأهـــل دعوتنا [٤] ، ويقول الجاحظ واصفا هذه الدولة ، دولـــة بنـــى العبـــاس : أعجميـــة خراسانية ، ودولة بنى مروان عربية أعرابية . [٥]

وكانوا يسمون باب خراسان فى بغداد : باب الدولة لإقبال الدولة العباســـية من خراسان . [٦]

---

[١] العقد الفريد جـــ٢ ص ٣٥٣ .

[٢] شرح منهج البلاغة لابن ابى الحديد جـــ ١ ص ٣٠٩ .

[٣] تاريخ الطبرى جـــ ٩ ٢٦٥ .

[٤] مروج الذهب جـــ٢ ص ١٨٣ .

[٥] البيان والتبيين جـــ ٢ ص ٢٠٦ .

[٦] مروج الذهب للمسعود جـــ ٢ ص ١٩٠ .

وأوصى المنصور ابنه قبل وفاته فقال : وأوصيك بأهل خراسان خير فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك ودماءهم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم . من تحسن إليهم ويتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده . [١]

إذن اصبح للموالى فى دولة بنى العباس اليد الطولى ، ولهم الكلمة فى شئون هذه الدولة المؤسسين لها القائمة على أكتافهم فاستتبع ذلك علبة الفرس ونفوذهم حتى عد المؤرخون من أهم خصائص هذا العصر قوة النفوذ لفارس وضعف النفوذ العربى ولكن إلى أى حد غلب العرب ؟ وهل كان نفوذ الفرس فى الدولة العباسية كنفوذ العرب فى الدولة الأموية ؟ وهل انتهى بذلك الصراع بين العرب والموالى ؟ الحق أنه لم يكن كل ذلك ، فالخلفاء العباسيون عرب هاشميون ، ولو من قبل الأب وهم يفخرون بذلك ويصدونه من أكبر مناقبهم ، وهم إن حفظوا للفرس معونتهم فلن ينسوا عربيتهم ، ويوم يشعرون بأن الفرس زاحموهم فى سلطانهم نكلوا بهم ، كما نكل المنصور بأبى مسلم الخراسانى والرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل . [٢]

فالفرس فى العصر العباسى الأول ، وكان لهم نفوذ كبير ولكن ليس معنى هذا انعدام نفوذ العرب .

اشترك الفرس فى حكم هذه الدولة فكانت أعظم بالمناصب كالوزارة فى يد الفرس ، ولكن كان الخليفة عربيا هاشميا ، وكان له قواد من العرب كما كان له قواد من الفرس ، وكان له ولاة من العرب ؟ وولاة من الفرس فنرى ومثلا : ضد المنصور كانوا أربعة : يمنية ومصرية وربيعية وخراسانية وفى اليوم الذى ولى فيه المأمون طاهر ا الشرطة ولى جماعة الهاشميين كور الشام .. وقد ولى المنصور محمد بن خالد العشرى الحرمين . [٣]

---

[١] تاريخ الطبرى ٩ / ٣١٩ .

[٢] ضحى الإسلام ٣٥ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٩ ص ٢٨٢ .

واشتهر فى هذا العصر أمراء العرب وقوادهم سعيد بن مسلم الباهل ومحمد بن زائدة الشياقى ، وأبو دلف العجلى وروح بن حاتم بن قبيصة والمهلب بن أبى صفرة إلى كتبر من أمثال هؤلاء . [١] ونستخلص من ذلك كله أن كفة الفرس كانت راجحة فى الدولة العباسية وليس معنى هذا أن النفوذ العربى والتعصب للعربية ، منعدم ن بل كان شديدا هو الآخر مما جعل الصراع مستمرا فى ذلك العصر - فنرى فى هذا العصر من الناس لا يزالون يترعون إلى الفخر بالنسب العربى والولاء العربى حتى لنرى أبا مسلم الخراسانى يصطنع لنفسه نسبا عربيا ، فيزعم انه من نسل سليط بن عبد الله بن عباس . [٢]

والأصفهانى يذكر فى أغانيه : أن اسحق الوصلى وهو ما هو من القرب من الرشيد ، تناظر مع ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالطا فسبه ابن جامع ، فمضى إلى اسحق إلى حازم بين خزيمة وهو عربى فتولاه وانتمى إليه فقبل ذلك منه فقال اسحق :

إذا كانت الأحرار أصلى ومصبى ودافع خيمى حازم وابن حازم عطست بأنف شامخ وتناولت . يداى التربا قاعدا غير قائم [٣] فهذه قصة تدل دلالة واضحة وصريحة على أن الأعاجم فى هذا العصر كانوا فى حاجة إلى الانتماء إلى الولاء العربى ليحتجوا به ويدافع عنه [٤] وذكر صاحب الأغانى أيضا : إن كان لعلى مع الخليل صديق فارس فغاب مدة ، وقد أصاب حالا ، ورفعة ، ثم عاد إلى الكوفة ، وادعى أنه من تميم فقال يهجوه :

يَروحُ بِنِسْبةِ المَولَى ... وَيُصْبِحُ يدَّعى العَرَبا
فَلا هَذَا ، ولا هَذَا ... كَ يُدْرِكُهُ إذا طَلَبَا

إلى أن يقول :

---

(٢) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٧ .

(٢) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٦ .

(٢) الأغانى جـ ٥ ص ٥٦ .

(٤) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٧ .

ويحكى في موضع آخر أن واليه بن الحباب كان يدعى النسب إلى العرب فقال فيه أبو العتاهية :

أوالب أنت في العرب [٢] . كيف تنفك عن الرطب

فإلى الموالي الصيد في سعة وفي رحب

فأنت بنما لعمر الله أشبه منك بالعرب .. الخ [٣]

فليس من شك في أن العرب لم يكونوا في هذه الحركة العصبية القبلية التي دفعت بحركة أخرى فارسية ، وان الصوت الخافت الذي كان يهمهم به اسماعيل بن يسار قد انطلق من عقالة حرا قويا ن وكان يتزعم هذه الحركة الفارسية جماعة من الموالي على رأسهم بشار بن برد الذي يفتخر بالعجم ويتبرأ من الولاء العربي ويدعو الموالي إلى تركه ، ويحقر العرب وكان يجهر بذلك أمام المهدي فيقول كما حدث عن نفسه ، دخلت على الخليفة المهدي فقال لي فيمن تعقد يا بشار ، فقلت يا أمير المؤمنين ز أما اللسان فعربي وأما الأصل فأعجمي كما قلت في شعري : -

ونبئت قوما بهم جنة يقولون من ذا وكنت العلم

ألا أنها السائل جاهدا لتعرفني أنا آنف الكرم

تمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قوين العجم

ويقول ذلك أمام المهدى فلا يعاقبه كما فعل هشام بابن يسار بل يسأله م أى العجم أنت ظ فيقول من أكثرها وفى الفرسان ، وأشدها على الأقران أهل طخارستان

---

(١) الأغاني ١٣ م ١٨ .

(٢) نفسه ١٦ / ١٤٩ .

بل كان يتبرأ من الولاء حيث يقول :

أَصْبَحْتُ مَوْلَى ذِى الْجَــلالِ وَبَعْضُــهُمْ ... مَوْلَى الغُرِيب فَخذ بفَضْلِــك فَــانْجِر
مَــوْلاكَ اَكْــرمُ مِــن تَمِيــم كُلِّــــهَا ... أَهْلِ الفِقَالِ وَمِــــن قُرِيــش الَشــعرِ
فَــارْجع إلَــى مَــولاكَ غَــير مُدافــعٍ ... سُــبْحانَ مــولاكَ الأجَــل الأكَــبر[1]

ولم يكتف بالبراءة من الولاء المعربى بنفسه ، بل كان من يدعــو الموالــى إلى نبذ ولائهم للعرب ، فيروى صاحب الأغانى أن رجلا من بنى زيد شــريف قــال البشار : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبــهم فــى الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكى الفرع ولا معروف الأصل ، فقــال له بشار ، والله لأصلى أكرم من الذهب ، ولفرعى أزكى من عمل الأبرار ، وما فــى الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه . [2] وبشار بن برد كثير من هذا الضرب ، يدلنــا على ما تقول : إنه زعيم الحركة العدائية للعرب كما برينا ما كان له ولأمثالــه مــن حرية فى هجاء العرب لم يكونوا يعهدونها فى العصر الأموى وحذا حذو بشــار فــى ذلك شعراء الموالى مثل : وبك الجن والحزيمى والمتوكلى ، ولقــد دأب الشــعوبيين على أن يسلكوا فى سبيل توصلهم إلى تحقير العرب ، والازدراء عليهم ، ومن ذلــك التأليف فى مناقب العجم وفى مثالب العرب ، ومن أشهر مــا فعلــوا ذلــك : عــلان الشعوبى ، فقد وضع كتابا فى ذم العرب اسمه - حلبة المثالب [3] .

وهو من أشد الكتب التى هتكت العرب ، ومنهم سهل بن هارون الذى يقــول فيه ابن النديم : كان حكيما فصيحا شاعرا فارس الأصــل شــعوبى المذهــب شــديد العصبية على العرب ، وله فى ذلك كتب كثيرة [4]

وبلغ من شدة بغض سهل أن ألف رسالته المشهورة فى البخــل ، ومنــها يقلب الكرم رذيلة ، والبخل فضيلة ، لأن العرب يتمدحون بالكرم ، ويعتبرونــه مــن

---

[1] الأغنى ٢/ ٥١ .

[2] الشعوبية فى الشعر العربى د/ حسن جاد .

[3] العقد الفريد .

[4] الفهرست المصرى القديم ص ٤٢ .

أكرم صفات السيد الحجاج كما اشتهر الفرس بالبخل وبخاصة أهل خراسان ومن ألد أعداء العرب : الهيثم بن عدى ، وكان من جلساء المنصور والهادى ، وله كتب كثيرة فى ذم العرب [١] وكذلك أبو عبيدة معمر بن المتنبى المشهور بشدة عدائه للعرب ، وقد صور ابن قتيبة كيف كان هذا الرجل ، يعمد إلى سرد معاصر العرب ، ثم يتهكم بها أشد تهكم ويقارن بين أشرافها وملوك الفرس ، وقد وضع لمدة كتب فى ثلب العرب ، وغير هؤلاء كثيرون ممن ألفوا فى مثالب العرب ولم يكتف الموالى بتآلف الكتب ، بل كانوا يضعون القصص فى التشنيع على العرب ، ويفسدون الشعر بإضافة النص إلى غير قائلة ، فيذيع بين الناس كما كان يفعل حماد الراوية وخلف الأحمر [٢] وقد اتخذ ذلك الصراع عدة أشكال فى هذا العصر منها ما أسلفنا الحديث عنه ، ومنها : الصراع الأدبى الذى كان معروفا فى العصر الأموى وهو الافتخار بالأنساب عن طريق الأب ، وكالذى كان بين عبد الله بن طاهر الفارسى يفتخر بنسبه فى الفرس ، فيرد عليه محمد بن يزيد (العربى الأموى يفتخر بالعرب ، فقد قال عبد الله بن طاهر قصيدة يفتخر فيها مآثر أبيه وأهله ويفتخر بقتلهم الأمين فيقول :

أقْصِرِى عَمْا لَهجت بِه ... ففَرَاغِي عنك مَشْغُول
أنا مِن تعرفِى نسبى ... سَلَفى الغُرُّ إلَيها لِيلُ

ومنها :

وَأبِى مَنْ لَا كَفَاءَ لَهُ ... مِنْ يُساوِى مجدُه؟قُولُوا

ومنها :

انظُر لمخلوَق كَكَلَّةَ ... وَحَوَاليه المَقَاوِيل
قَتْوَى والتُرابُ مَضْجَعَه ... غَال عَنه ملكَهُ غُول
قَادَ جَيْشا نَحْو نَائلَةٍ ... ضَاقَ عَنه العَرضُ والطول
مِنْ خَرَاسَانٍ مصمم ... كَلُيُوث ضَمَها نِيلُ

---

[١] نفسه : ص ١٢٠

[٢] ابن قتيبة للدكتور / عبد الحميد الجندى ص ٤٠ .

وَهَبُـــوا لِلـــــه أَنْفَســـــهُمْ لاَ مَعـــازِيلَ ولَـــا مِيـــلُ [١]

ويقول محمد بن يزيد : لما بلغتنى هذه القصيدة امتعضت للعرب وأفقـــت إن يفخر عليها رجل من العجم ، لأن قتل ملكا من ملوكهم بســـيف أخيـــه لا بســـيفه ، فيفخر عليها هذا الفخر ، ويضع منها هذا الموضع فرددت عليه قصيدتـــه بقصيـــدة مطلعها .

لاَ يُرِعُـــكَ القَـــالُ والقِيْـــــل كُـــل مَـــــا بَلَغْـــت تَضْلِيـــل
يـــا ابـــن بيـــت النّـــارِ مُوقِدهَـــا مَـــا لِحَادِيـــة سَـــــرواك
مَـــنْ حُسَـــين أَبُـــوكَ ؟ وَمَـــنْ مُصْعَـــبُ عـــالتكمو غُـــول
نَسَـــبٌ فـــي الفخـــر موتشـــب وأُبُـــــوات أراذيـــــل
قـــاتل المخلـــوق مقتـــول ودَمُ المْقتُـــولَ مطْلُـــــولُ ...

وهناك شكل ثالث من أشكال الصراع ، وهو الصراع العلمى فكـــانت نتيجـــة هذه الصراعات هزيمة العرب ؟ وغلبة الموالى ، ولكن هزيمتهم كانت فـــى الناحيـــة السياسية والإدارية ، فأما دينيا ولغويا فقد انتصر العرب ، فلم تستطيع المجوسية أن تساير الإسلام ولم تستطيع لغات الموالى أن تضع من شـــأن اللغـــة العربيـــة ، بـــل خدمتها ، وعملت على ترقيتها فى نواح مختلفة ، ولا من اللغة العربيـــة هـــى لغـــة القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية ببقاء هذا الكتاب العزيـــز المحفـــوظ مـــن الله تعالى: إنا نحن تركنا الذكر وإنا له لحافظون . [٢]

وتستطيع القول بعد هذا العرض الموجز لهذه الدولـــة أن اعتمـــاد الخلفـــاء العباسيين على الموالى فى إنشاء دولتهم كان سببا من السباب التى أدت إلى ضعـــف سلطان الحاكم العباسى ، وكان الخلفاء عرضه للكير والبطش من الجند والـــوزراء ، بل من نساء القصر كذلك : - ويصور الدكتور طه حسين / فى كتابه - حديث الشـــعر والنثر هذه الحالة فيقول : كان القصر موزعا بين الأتراك وغير الأتراك من روءســـاء الجيش ، وكان الخليفة مضطرا أن يصانع أولئك وهؤلاء ، وهو فى أثناء ذلـــك كلـــه

---

(١) الأغانى جـــ ١١ ص ١٣ .

(٢) سورة الحجر جـــ ٩ .

عرضه للكيد الكائدين ومكر الماكرين ، ومن الحق أن نعترف أنه هو أيضا كان بكيد لرؤساء الجند خوفا منهم ، ومن الحق أيضا أن نلاحظ أن أخلاق الأمراء والخلفاء انتهت من الفساد إلى حد لم نعرفه من قبل ، فقد كان الخلفاء يمكرون بآبائهم وأخوتهم ، حياتهم كلها مكر فى مكر . [1]

وكل ذلك من غير شك دليل على أن الموالى كانوا يكدون للدولة ، ويعملون كل ما فى وسعهم لسقوطها ، وإقامة عروشهم البائدة الزائلة ، واسترجاع مجدهم القديم ، وعظمتهم المفتراة ، التى هدمها العرب بفتوحاتهم لبلادهم وخلاصة القول فى هذه الدولة العباسية إن إقصائهم للعرب ، وتقريبهم للموالى كان سببا فى النكبات التى توالت على هذه الدولة إذ وجد هؤلاء الأعاجم فى عطف الخلفاء العباسيين وتقريبهم منفا وفرصة سانحة يكيدون بها للعرب ، ويظهرون بها شعوبيتهم ، ويفخرون بأصولهم وبأدومتهم فنرى الشعراء الشعوبيين يجاهرون بولاتهم لدولتهم ، وبقضهم للعرب ، ووصفوا فى ذلك كتبا تسلب العرب ، وترفع العجم .

لذلك نجد الشعوبية تحولت فى العصر العباسى إلى وسيلة من الوسائل الأعجمية ، التى أريديها بعث الكسروية ، وإذهاب النفوذ العربى ، الذى ضاقوا به ، فالعباس السفاح قد قتل أبا مسلم القائد المشهور ، ونكل المنصور بعده بأبى مسلم الخراسانى .

وكان (بارامر) على صواب حين وصف هذه السياسة العباسية بقوله : إنهم (أى الفرس) ساسوا البلاد سياسة عربية فى ظاهرها فارسية فى باطنها ، ولهذا بعثوا الشعوبية فى الأدب حتى يكون تأثيرها فى الجمهور أقوى وأشد .

إذن الشعوبية قد صارت فى هذا العصر مذهبا يقتضيه بعض الموالى الذين أكل الحقد قلوبهم وأعمى الحسد والبغض بصيرتهم وطمس على أبصارهم ألم ينظروا إلى الإسلام كيف سما بهم ، وجعلهم سادة فى بلادهم بعد أن كانوا حسودين ولا طعم للحياة ظل العبودية لغير الله سبحانه وتعالى ، ولقد شيعت هذه الشعوب بعبادتها غير الله سبحانه وتعالى ونالت الأمن والأمان فى ظل عدالة هذا الدين العظيم .

---

[1] من حديث الشعر والنثر للدكتور / طه حسين ص ٢٧٤ .

الفصل الخامس

نماذج للشعراء الشعوبيين

ومن الشعراء الشعوبيين فى هذا العصر : بشار بن برد وأبى نواس ديك الجن والخزيمى والمتوكلى ومطيع بن إياس .

ويخص من هؤلاء الشعراء : بشار بن برد والحسن بن هانىء وأبى نواس وقد قال كل عنهم بعض الشعر فى كل مجال من المجالات التى عرضنا لها من شعرهما هو : الشعر الشعوبى :

هو بشار بن برد بن يرجوخ ويكنى بشار أبا معاذ ومحله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغنى عن وصفه ، وإطالة ذكر محله وهو من مخضرمى العباسية والأموية ، [1]

وقد اشتهر فيهما فمدح وهجا وأخذ شتى الجوائز مع الشعراء .

وكان بشار متعصبا لجنسية تعصبا شديدا والتحقير من شأن العرب ففى الأغانى بحديث بشار عن نفسه فيقول ، لما دخلت على المهدى قال لى فيمن تعتد يا بشار ، فقلت وأما اللسان والزى فعربيان وأما الأصل فعجمى كما قلت فى شعرى . [2]

ويروى الأحمصى أنه فاعل قال بشار الشعر أهل زمان [3] .

وفيما يرويه صاحب العمدة يقول : لم أهجه لأغلبه ، ولكن ليجيبنى فأكون من طبقته ، ولو هجانى لكنت أشعر الناس [4] .

وقد رغب بشار فى أن يكون متكلما من العربية خبيرا بها فلم تحو البادية ليكون ذو باع فى اللغة مشهودا له بمعرفته واقتداره .

---

(١) الغنى ٣ / ١٢٩ .

(٢) سبق ذكر الأبيات القصة ص ٤٠ .

(٣) الأغانى جـ ١ ص ١٣٨ .

(٤) العمدة فى محاسن الشعر لابن رشيق جـ ١ ص ١١٠ .

وكان بشار شديد الاعتداد بنفسه ، وشديد الغرور بها يروى أن رجلا قال البشار : إنى أنشد فلانا قولك .

إذَا أنت لَم تَشْرَبْ مِرارًا عَلَى القَذَى ظَمِئْتَ وأى النَاسِ تَصْفُو مَشَارِبُه

فقال المستمع ما كنت أظن هذا البيت إلا لرجل كبير مجرب ، فقال بشار :

لمن يحكى له ، ويلك ! أفلا قلت له هو والله أكبر اجن والإنس[1]

وقد ذكر أبو الفرج فى أغانيه : أن أعرابيا دخل على مجراة السدوسى وبشر عنده ، وعليه نبذ الشعراء فقال الأعرابى : من الرجل ؟ فقالوا رجل شاعر فقال : أمولى هو أم عربى ؟ قال بل مولى ، فقال الأعرابى ما للموالى والشعر ، فغضب بار وسكت هنية ثم قال أتأذن لى يا أبا ثور ؟ قال قل ما شئت يا أبا معاذ فأنشد بشار يقول :

خليلى لا أَنَام عَلَى اقْتِسَارِ ولا أَبِى عَلَى مَوْلَى وحَارِ
سأخبر فَاخِرَ الأعراب عَنى وعنه حِينَ يأذن بالفَخَارِ
أحِين كَسِيت نَعد لغَزا خزا ونَادمت الكِرَام عَلَى العقَارِ
تفاخر يا بن راعِية وراعٍ بَنِى الأحرار حَسبُك مِن خَسَارِ[2]

وعلى هذا النحو المفزع عرفت الشعوبية طريقها إلى الشعر العربى متدرعة التجديد فى مناهجه وأنماطه وكان أول الداعين وعلى هذا النحو المصرع عرفت الشعوبية طريقها إلى الشعر العربى متدرعة التجديد فى مناهجه وأنماطه وكان أول الداعين إلى هجر هذا اللون القديم والاتجاه إلى تصوير ما يجرى فى البيئة العباسية الشاعر المعروف مطيع بن إياس ، و هذه دراسة موجزة عن بشار بن برد .

---

(١) الأغانى جـ ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) الأغانى جـ ١ ص ١٦٠ .

أبو نواس : هو أبو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح مولى الجراح بن عبد الله بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك : - ولد بالأهوار سنة ١٤٥ ق في خلافة أبى جعفر المنصورة .

نشأ أبو نواس بالبصرة ، وقرأ القرآن على يعقوب الخضرمى ، فلما قرأ القرآن رمى إليه يعقوب بخاتمة وقال له : اذهب فأنت اقرأ أهل البصرة . ، فقد تثقف أبو نواس ثقافة واسعة فقد اخذ يختلف إلى حلقات المسجد الجامع بالبصرة ، وقرأ القرآن على فطلب الحديث على جلة من شيوخه منهم الإمام أحمد بن حنبل وأما النحو فقد خذه عن أبى زيد النحوى وكتب عنه الغريب فى الألفاظ [١]

وأما شعره فيقول عنه ابن المعتز ... وقد تأدب بالبصرة وهى ومنذ اكثر بلاد الله علما وفقها وأدبا .. وكان أحفظ لشعار القدماء والمحضر من أوائل الإسلاميين والمحدثين .. [٢]

ويقول عند موضع آخر إن أبا نواس يعد بحق شخصية ذات منزلة رفيعة فى التطوح بالشعر العربى إلى مستوى جديد من الحداثة المبتكرة المتألقة السهلة يقول ابن المعتز فيما يرويه من أخباره إنما نفق شعر أبى نواس على الناس لسهولته وحسن ألفاظه وهو مع ذلك كثير البدائع والذى يراد من الشعر هذان [٣] وكان لأبى نواس أسلوبه المتميز بالابتكار والتجديد ومحاربة القديم وأغراضه فأبو نواس كان قفزة جديدة بالشعر العربى فى باب الحداثة التى تعنى التمكن والاقتدار والسهولة والرونق والتأثير الفنى المعتمد على صدق الحسن ورفاهة الشعور وسهولة التعبير مع ارتفاع سيطرته الفنية وتمكنه ، وقد اكسب منزلة أدبية رفيعة .

قال أبو عبيدة : أبو نواس فى المحدثين مثل امرىء القيس للمتقدمين وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد فى الكل ، وما زال العلماء والأشراف يرون شعره ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء [٤]

---

[١] الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية ص ١٦٩ .

[٢] طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠١ .

[٣] طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠٤ .

[٤] الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية ص ١٨١ .

وقال أبو عمرو الشيبانى : لولا أن أبا نواس افسد بـــهذه الأقــذار (يعنــى الخمر لاحتجنا به لأنه محكم القول لا يخطئ [١]

وقد علق الدكتور / محمد أبو الأنوار على رأى الدكتور طه حســين فــى أن مذهب ابى نواس كان مذهبا شعوبيا .. . فيقول بل كان مذهبــا فنيــا أساســه حــب الحضارة التى يحياها ، وحب الصدق الفنى والصدق النفسى .

ثم يذكر أن طه حسين قد أطال القول بينما يتصل بصدق أبى نواس النفســى والفنى وذكر ما قاله . كان أبو نواس إذن ... حين يصف الخمر أو حين ينعزل يقصد إلى ما يقصد إليه الشعراء المجيدون من وصف الحس والشــعور وتمثيــل العاطفــة تمثيلا صحيحا .. كان أبو نواس يريد أن ينهج بالشعر منهجا جديدا لم ينهجه القدماء أو قل : إنهم نهجوه ولكنهم لم يشعروا بذلك ولم يتخذوه عقيدة أو مذهبا فــى الأدب كان يريد أن يتخذ الشعر لسانا للحياة الحاضرة : أن يعدل عن أساليب القدمــاء فــى وصف الأطلال والبكاء عليها وفى تقنى الإبل والشاه إلى وصف الحياة التى يحياهــا الشعراء والمستمعون لهم إيثار للصدق ، وبعدا عن الكذب .. [٢]

فالأصل عندنا فى مذهب أبى نواس هو التجديد الذى أساسه الصدق الفنــى والنفسى والتعلق يتطور الحياة إلى حضارة جديدة شغف بها أبو نواس بحياة اللــهو واللذة والترف ، ومستحيل على مثله ، أن يتجه بهواه الفنى إلــى تقــاليد الحيــاة الجاهلية الجافة ، ويعشقها ويتغنى بها ، ويكون فيها صادقــا مــع نفســه وحياتــه وفنه.[٣]

وقد ثار أبو نواس على التقاليد القديمة للقصيدة العربية واقتناعــها بالبكــاء على الأطلال ، فنقى على الطلول والرسوم ومن بذكر الطلــول والرســوم ، وبيــت القصيد من هذا الهوس بالنعى على الرسوم والطلول إنما الازدراء بأهلها ، وبعيشــهم وفخارهم الذى عز عليه أن يجاريهم فيه ، والإشادة بالخمر التى لا يدرك الكفاءة لــها

---

[١] خزانة الأدبية للصفراوى ١ / ٣٤٨ .

[٢] الشعر العباسى تطوره وقيمة الفنية ص ١٨٦ .

[٣] الشعر العباسى تطوره وقيمة الفنية ص ١٨٦ .

كل ولا يسمو الشاربون لها إلى مثل شمائل أبى نواس الأجرم تصبح المنادمة قرابة تغنى عن قرابة النسب بين أناس لا يتفاخرون ولا يتعاظمون [١] وأبو نواس نفسه يؤكد فيما يقول أن مذهبه فنى ، وأن اتجاهه إلى حضارة عصره ومجتمعه ، وكما يقول الدكتور حسين المطوان : حرى بنا متصفة اعتمادا على أقواله التى صدرت عنه والتى تثبت أنه لم يكن يهدف إلا إيثار الصدق فى الفن .. ومن ذلك قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنه الكرم
لا تَخْدَعَنْ عَنِ التى جَعَلَتْنِى ... سُقْمُ الصحيحِ وَصحةِ السُقْمِ

ويطيل فى الحديث عن الخمر ثم يقول فى نفس القصيدة :

فعلام تُذْهَلُ عَنْ مُشعشقة ... وَمُهمِمُ فى طَلَلٍ وَفِى رَسمِ
تَصفُ الطَلَولَ عَلَى السَماعَ بِهَا ... أَفَدُ والعِيان كانَت فِى العَلَمِ
وَإذَا وَصفت الشىءَ مُتَبِعًا ... كم تخل من زلل ومن وهم

ومن شعره قوله يهاجم منهج القدماء :

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنه الكريم[٢]

وقوله :

تبكى على طلل الماضين من أسد ... لإدراك قل من بنو أسد
لا جف ومع إلى يبكى على حجر ... ولا صبا قلب يصبو إلى قرن[٣]

وبعد فالشعوبية تسوية أو تعصبا ، كانت تمضى إلى غايتها المعروفة فى صورة الدعوة إلى التجديد ، فاتخذت عدة وسائل حتى برزت وأصبحت مذهبا يدين به عدد كبير من الموالى الذين أعماهم الحقد والكراهية للعرف إلى اعتناق مثل هذا المذهب ، وعلى أى حال فقد كانت هذه الحركات خيرا على الأدب فأخذته بالأساليب والمعانى والأغراض المختلفة مما كان سبباً فى ازدهاره فى العصور .

---

[١] نفسه ص ١٨٧ .

[٢] الشعر العباسى تطور بالقيمة الفنية جـ ٢ ص ١٩٢ .

[٣] الأغانى جـ ١٠ ص ١٠٣ .

الفصل السادس
الصور التى جاءت بها الشعوبية العرب

لقد اتخذت الشعوبية عدة صور لبث دعوتهم ، والترويج لها ، ولم تظهر هذه النزعة كما ذكرنا فى العصور السالفة ، وبخاصة فى العصر الأموى الذى كان يحط ويضع كل ما هو غير عربى ، وإن كانت هذه النزعة ما زالت متعلقة فى نفوس هؤلاء الموالى إلا إن يد السلطة كانت لهم بالمرصاد فلم يستطيعوا أن يعلنوا عن شعوبيتهم وتعصبهم فى هذا العصر ومن ابرز النماذج لذلك القصيدة التى أنشدها إسماعيل بن يسار بين يدى هشام بن عبد الملك ، ولقد أحسن جزاءه عليها فقد أمر به ان يغط فى بركة كانت بين يدى هشام ، ففعلوا به ذلك حتى كادت وهب نفسه ، والتى قال فيها يفتخر بأصله الفارسى :

من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم [1]
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون فى حلق الماذى سابقة ... مشى الضراغمة السد اللهاميم

وفى ابن يسار يقول الأصفهانى - وكان مبتلى بالعصبية للعجم وألقوا بهم وكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا .[2] هذا ما كان م شعراء الموالى فى العصر الأموى ، وقد كان شأنهم كما نرى ضعيفا ، ألا ترى أن ابن يسار قد حوسب حسابا عسيرا لمجرد فخره بقومه مع أنه لم يتعرض للعرب صراحة . [3] أما فى العصر العباسى والذى كان للموالى السيد الطولى فى قيام هذه الدولة العباسية ، إذا كانوا المؤسسين لهذه الدولة ، فاشتركوا فى إدارة وحكم هذه الدولة كوزراء للخلفاء العباسيين ، فوجدوها الموالى فرصة فظهار ما فى نفوسهم فاخذوا يعلنون عن شعوبيتهم بطرق شتى منها الحط من شأن العرب ،ى وتفضيل غيرهم عليهم

---

[1] الأغانى جـ ٤ ص ١٢٥ .

[2] الأغنى جـ ص ١٢٥ .

[3] تاريخ الشعر العربى فى العصر بن الأول والثانى من خلافة بنى العباس ص ١٢٦ .تأليف / د/ محمد عبد العزيز الكنداوى ط . نهضة مصر .

وبخاصة الفرس ، فمدحوا أنفسهم بالذكاء وبتقدمهم الحضارى والحط من شأن العرب منها وضع وتأليف القصص والكتب فى مدح أنفسهم والحط من شأن العرب وأنهم يبدو رحل ليس لهم نظام ولا دولة مستقرة .

وقبل أن يتكلم عن هذه الصور التى حارب بها الموالى العرب والحط من قدرهم هذه النزعات الثلاثة والتى كانت سائدة فى ذلك العصر والتى ذكرها / أحمد أمين وهى :

النزعة الأولى : تذهب إلى أن العرب خير الأمم ولهم فى ذلك حجج هى :

أ- أنهم عاشوا حياتهم متمتعين باستقلالهم ، وعاشوا حياة آمنة وادعة لا يستطيع أحد الاعتداء عليهم فى جاهليتهم . وأما فى الإسلام فقد حافظوا على استقلالهم ، وأخضعوا دولتى الفرس والروم .

ب- أن لهم صفات امتازوا بها عن غيرهم مثل : الكرم والنجدة والمروءة وأن الإسلام نشأ بينهم وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى كان من أنفسهم وهم الناشرون له بين الأمم والداعين إليه ، والمحافظون لدعوته .

النزعة الثانية :

تذهب إلى العرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم ولا أية أمة افضل من غيرها من الأمم ، والناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد ، وإنما التفاضل بين الأفراد لا بين الأمم وليس تفاضل الناس فيما بينهم بآبائهم وحسابهم ولكن بأفكارهم وأخلاقهم وشرف وبعدهم ألا ترى أن من كان دفىء الهمة ، ساقط المروءة لم يشرف وإن كان بن بنى هاشم فى ذؤبتها ومن بنى أمية فى أوومتها ومن قيس فى أشرف بطن منها وإنما الكريم من كرمت أفعاله والشريف من شرفت همته [١]

يقف هؤلاء موقفا على السواء بين الأمم ، فلا عربى افضل من أعجمى لأنه عربى ولا أعجمى أفضل من عربى لنه أعجمى وليست العربية ولا أعجمية عاملا من

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٨٩ .

عوامل التفاضل ، وإنما التفاضل بالدين وحده عند قوم ، والشرف وسمو الخلق عند آخرين ، وفى هذا المعتز يقول الله تعالى " يا أيها الناس إما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم [١] فى الحديث الشريف ليس لعربى وعجمى فضل إلا بالتقوى .. وقوله صلى الله عليه وسلم .

والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم [٢]

النزعة الثالثة :

تميل إلى الحط من شأن العرب ، وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم وحجته فى ذلك .

ا - أن العرب ليست لها أى ميزة ، على حين أن كل أمة لها ميزة تفخر بها فالرومان تفخر بعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، وعظيم مدنيتها .

والهند تفخر بحكمتها وطبها وكثرة عددها وأنهارها وثمارها - والصين تزدهر بصناعاتها وفنونها الجميلة وما إلى ذلك ، ولا نجد العرب تمتاز بشىء يضارع ما ذكرنا ، وجدب فى أرض ، وبداوة فى عيش كانوا فى جاهليتهم يقتلون أولادهم من الفقر ، ولا يستقر لهم حال من لغزو والسلب ، ويفعلون المكرمة الصغيرة بإطعام جائع وإغاثة ملهوف فيملؤن الدنيا بها شعرا ونثرا ، ويبتهون بذلك فخرا قالوا بم يكون الفخر ؟ وأين ملك العرب من ملك الفراعنة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة ؟ ومن سليمان الذى أونى من الملك مالا ينبغى لأحد من بعده ؟ من ملك الإسكندر وقد بلغ مطلع الشمس ومغاربها ؟ أم بالنبوة ؟ فجميع الأنبياء من غير العرب ما خلا أربعة : هودا وصالحا وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ؟ أو بالصناعة والعلم ؟ فالعرب اضعف الأمم فى ذلك شأنا وأعقمهم برا وأجدبهم عقل أم بالشعر ؟ فلم ينفرد العرب به . فلليونان شعر موزون مقفى وللرومان شعرا كذلك أم الخطب والبيان ؟ فالفرس واليونان خطب كثيرة ، وبيان ساحر ، فما الذى يفخرون

---

[١] سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٥٢ .

به بعد ذلك ؟ يفخرون بالكرم والوفاء ، وقولهم فى ذلك أطول وأعرض من فعلهم أو يفتخرون بالأنساب ، وقد كانوا فى جاهليتهم لا يتقيدون بنوع من الزواج المعروف فى الإسلام بل كان من أنواع زواجهم شيوع المرأة بين عدة رجال ، وكانوا فى حروبهم يسبى بعضهم نساء بعض ، ويستمع بها من غير زواج فكيف يدرى أحدهم أباه ؟ وإن فخرتم بالإسلام فليس الإسلام دين العرب وحدهم ، بل هو بل الناس جميعا ، والإسلام نفسه حارب نزعتكم ، فهدم العصبية الجاهلية وجعل مقياس الشرف التقوى فالدين بنا وبكم ، والدنيا أحظى بها وأعرف ذراياها واكثر تفتنا فى شؤونها . ويمثل هذا الصنف ممن يحقرون العرب، ويضعون من شأنهم ويسودون كل أمة عليهم ، من ظلوا على دينهم القديم أو أسلموا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم أو غلبت عليهم النزعة الوطنية فكرهوا من العرب أنهم أزالوا ملكهم ، وأضاعوا استقلالهم . (١)

الصور التى حاربت بها الشعوبية العرب وهى :

١ – عمد هؤلاء الشعوبيون إلى المزية الظاهرة والتى يعتز بها العرب وهى البلاغة وقوة الخطابة ، وحضور البديهة ، فاخذوا ينتقضوهم فى ذلك من نواح كثيرة ، كان العرب إذا خطبوا اكثروا من الإشارة بأيديهم يمثلون بها أغراضهم ويستعنون بذلك على إيضاح المعنى وقوة التأثير من السامعين ، وكثيرا ما يستعملون فى إشارتهم بأيديهم المخصرة وهى ما يمسكه الإنسان بيده من عصا أو مقرعة أم عكازة أو قضيب وكثيرا ما كانوا يشيرون فى خطب السلم بالمحضرة وفى خطب الحرب بالقيس وأحيانا كانوا يتكئون أثناء خطبهم على القس وكثيرا ما يلبسون الخطابة خاطئا ، فيضعون العمامة وضعا يدك على تأهبهم للخطابة فجاءت الشعوبية تهزأ بهم وتقول أى ارتباط بين الكلام والعصا وبين الخطبة والقوس .... وقد رد عليهم الجاحظ فى كتابة البيان والتبيين وافرد لذلك بابا خاصا سماه كتاب العصا . (٢)

---

(٢) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٤٩ : ٥٤ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ .

٢- كما عابوهم فى جوهر الموضوع ، فقالوا ليست الخطابة سيرة امتزتم بها وحدكم ، فهى شىء من جميع الأمم مع عتادتها ، وفساد مزاجها لتطيل الخطب ، وأخطب الناس الفرس ثم العرب ولهم فوق خطبهم التأليف فى صناعة البلاغة ومعرفة الغريب ككتاب (كارونة) ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والصبر المتلات والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينتظر إلى سير الملوك وملوك الفرس . [١]

٣- كذلك عابوا العرب فى آلاتهم الحربية فسخروا من رماحهم ومن خيولهم ومن قناتهم الصماء ومن قلة الخبرة فى تنظيم جيوشهم ، فلم يكونوا يعرفون الميمنة والميسرة ولا القلب ولا الجناح ، ولا يعرفون من آلات الحرب القدادة ولا المجانين ، وقارنوا بين حالة الجيش الولى والجيش الفارسى فى تنظيمه وفى آلاته . وفات الشعوبية أن هذه القارئة أحضر لشأنهم وأوضع لمكانتهم فهؤلاء العرب بآلاتهم الساذجة الحقيرة سحقوا الفرس بآلاتهم الفخمة العظيمة وجيوشهم المنظمة الكبيرة . [٢]

٤-ونوع آخر من مالك الشعوبية وهو أنهم أكثروا من التأليف فى مناقب العجم مثل سعد بن حميد والذى ألف كتابه انتصاف العجم من العرب ، وكاب فقتل العرب على العجم وافتخارها . [٣]

فنجدهم يضعون الكتب فى مثالب العرب كالهيثم بن عدى وهو من اشهر العلماء بالاخبار والرواية ، جالس المنصور والمهدى والهادى والرشيد ، وقد وضع عدة كتب فيها المثالب منها ، كتاب المثالب الصفير وكتاب المثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وأسماء بقايا قريش فى الجاهلية ، وأسماء من ولدن ، يتصل بهذا كتاب له اسمه كتاب من تزوج من الموالى فى العرب ، وكذلك سهيل بن هارون فى بيت الحكمة قال فيه ابن القديم ، كان حكيما فصيحا شاعرا فارس الأصل شعوبى المذهب

---

[١] البيان والتبيين جـ ٣/ ٦ .

[٢] نفسه جـ ٣ / ٦ .

[٣] الفهرست لابن القدم ص ١٢٠ .

شديد العصبية على العرب ولد فى ذلك كتب كثيرة . [١] وقد وضع رسالته المشهورة فى النزل ، ولعل ذلك منه نزعة شعوبية ، لأن العرب كانوا يمتدحون كثيرا بالكرم ويعدونه من أكبر مناقبهم ، كما اشتهر الفرس بالبخل فوضع سهيل هذه الرسالة يقلب فيها قيمة الكرم والبخل ، ويعد الكرم رذيلة والبخل فضيلة ، وروى له صاحب تعد الآداب أبياتا تدل على شعوبيتك يفتخر فيها بفارسيته ويذم العربية ، ويقارن بين بيته فى ميثان وبيت آخر عربى .

أجعلت بيتا فوق رابية ... فرع النجوم كأنه عجم
كتبت شعر وسط مجهلة ... بفنائه الجعلان والبهم[٢]

وألف علان الشعوبى وأصله من الفرس كتابها ، الميزان فى المثالب قال فيه ابن القديم : إنه هتك فيه العرب وأظهر مثالبها على مثالب بنى مخزوم ، وعد القبائل كلها وذكر مثالبها .

وألف أبو عبيدة معمر بن المتنبى وهو من أشهر العلماء وفى النحو والأخبار وكان أصله من يهود وفارس كتبا كثيرة تعرض فيها للعرب مثل : كتاب لصوص العرب ، وكتاب : أدعياء العرب ، كما ألف كتاب (فضائل العرب) قال فيه ابن خلكان وكان بكرة العرب وألف فى مثالبها كتبا . [٣]

ولم يصل شىء من هذه الكتب الكثيرة التى ألفت فى الخطر من شأن العرب والتى ألفت فى بيان دعوى الشعوبية ، وإنما الذى وصل منها منف من أقوالهم وآرائهم وأهمها ما ورد فى البيان والتبيين للجاحظ وما ورد فى العقد الفريد لابن عبد ربه ، وما نقله ابن قتيبة فى كتاب (العرب) ويرجع الأستاذ أحمد أمين فى كتاب (ضحى الإسلام) السبب فى ضياع هذه الكتب إلى أن المسلمين عدو هذه النزعة الشعوبية ضد الإسلام فتحرجوا من نقل الكتب المؤلفة ، وتقربوا إلى الله بإعدامها ، وبرىء المخلصون كما فعل الزمخشرى فى أول كتابه (المفصل) فقد

---

[١] الفهرست لابن القديم: ص ١٢٠ .

[٢] زهر الآداب وثمر الألباب لأبى اسحق الحصرى القيروانى ص ٥٧٧ .

[٣] الفهرست لابن القديم ص ١٥٥ .

حمد الله إذ جعله على التعصب للعرب والعصبية لهم ن وبراة من الإنصواء فى لفيف الشعوبية [١] .

ومنها هذه الأشكال أيضا ، أن هؤلاء الشعوبيين وضعوا فى الأدب قصصا تؤيد جانبهم ، وقد اختلفوها اختلافا ، وكانت هذه أخطر على العرب من الحرب للطاهرة ، لأن تفضها أصعب والوقوف على بطلانها أعسر ويمكننا أنهم لجأوا فى ذلك إلى نوعين : -

(١) **النوع الأول** : الوضع ، وهو أن يضعوا القصص الشنيعة فى شرح الأبيات والأمثال ، ويختلفون القصة اختلافا ، فقد روى الهيثم بن عدى قصة طويلة تتلخص فى أن رجلا نزل بحى من بنى عامر فخرجت إليه حارثة .. فقالت : ممن أنت ؟ قال من تميم . فذكرت له أبياتا فى ذم تميم فقال لها : لست من تميم ، بل أنا من قبيلة عجل ، ففعلت مثل ذلك ، وما زال الرجل يذكر القبائل قبيلة قبيلة وهى تقول البيات فى ذمها حتى استنفد القبائل كلها ولما انتسب إلى بنى هاشم قالت أتعرف الذى يقول : -

بنى هاشم عودوا إلى نخلاتكم ... فقد صار هذا التمر صاعاً بدرهم

فإن قلتمو وهو النبى محمد ... فإن النصارى وهو عيسى ابن مريم

وهذه الحكاية برجعها الأستاذ / أحمد أمين إلى وضع الشعوبية أو من وضع الهيثم بن غدى نفسه . [٢]

(٢) **النوع الثانى** : نسبة الشىء إلى غير قائله ، وهو طريق سلكوه لإفساد الأدب العربى ، وإضاعة معالمه حتى لا يكون للعرب أدب موثوق به ، ومن أمثلة ذلك ما يقوله أبو عبيدة فى التيه :

هَنِيُون لِبْنُوَن أَيسار ذو كرم ... سَّواى مكرمة أبناء أيسار

---

[١] ضحى الإسلام ص ٧١ ، ٧٢ .

[٢] ضحى الإسلام جـ ١ ص ٧٢ .

إن يسألوا الخـــير يعطـــوه وإن خُـــبروا فيِ الجهد أدركَ منهم طيـــب أخبـــار

إنهما للعرندس الكلابى يمدح بنى عمرو والعتوبين فينكر الحمص عليه ذلـك ويقول محال أن يمدح كلابى غنوا بأغانيها من العداوة . [١]

(٣) **ومن آثار الشعوبية** : أنهم لونوا وصاروا من تاريخ الفـــرس لونـا زاهيا جميلا ونسبوا إلى ملوكهم الحكم الرافعة والسياسة الحكمية ، وكســـوه أبهـــة وعظمة بالغوا فيها ، وزعموا أن الفري من ولد اسحق بن إبراهيم عليهما الســـلام ، والعرب بن إسماعيل ابن إبراهيم عليها الســـلام ، واســـحق بـــن ســـاره الحرنـــة ، وإسماعيل من هاجر الأمة فهم افضل من العرب ، لأنهم بنو الأحرار ، وأما العـــرب فبنوا للحناء وهى دعوى غير صحيحة علميا ، وإنما وشعت ليرفع الفرس من شأنهم وليفخروا بها على العرب كما زعموا أن سابور سمى ذا الأكتاف لأنه أوقع بـــالعرب فى العراق وخلع أكتافهم . [٢]

٣- ومن الصور أيضا : ما كان للشعوبية من مجال واسع فى الحديث فقد وضعـــوا الأحاديث فى فضل الفرس ، وأسندوها إلى الثقاة من الصحابة والتابعين ، مثـــل روى الأعاجم ذكرت عند رسول الله عليه وسلم ، فقال :

وفى رواية : لأنا ببعضهم أوثق منى ببعضكم .

وفى حديث ثالث : لا تسبقوا فارسا فما سبه أحد إلا انتقم الله منه عـــاجلا أو آجلا . وغير ذلك من الأحاديث التى رووها فى فضلهم عن رسول الله صلى له عليـــه وسلم . ومن هذه الأحاديث الكثيرة حول الإمام أبى حنيفة النعمان الفـــارس الأصـــل يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن آدم يفتخر بى وأنا أفتخـــر برجلـــه من أننى اسمه نعمان وكنيته أبو حنيفة ، وهو سراج أمنى .

---

[١] ضحى الإسلام جـــ ١ ص ٧٢ تعلا عن الشعر ص ٧٢ ، ٧٣ .

[٢] رسائل البلقاء : ص ٢٦٥ .

زمنها ، لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجل من فارس وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى رووها لتثبت لهم الفضل والسبق عن العرب .

وبعد : فهذه عجالة عن الأشكال والصور التى حارب بها الشعوبيون العرب واستعانوا بها على نشر مذهبهم أو إخراج ما فى نفوسهم من حقد وكراهية للعرب : ولا تنسى أن كثيرا من هؤلاء الموالى أسلم وحسن إسلامه ن واصبح أكبر داعية للإسلام والعروبة .

الفصل السابع
دفاع العربية ضد الشعوبية

والآن وبعد هذه الدراسة الوجيزة عن الشعوبية نسأل سؤالا فرض نفسه علينا وهو هل وقف شعراء العربية وعلماؤهم مكتوفى الأيدى أمام تحدى الشعوبية وحملة الشعراء ضد العرب ، والحط من شأنهم ، وتفضيل غيرهم عليهم ..

فالحق أن هؤلاء الشعوبيين وجدوا الفرصة أمامهم سانحة للحط من أقدار العرب ، والفخر بأنسابهم وأحسابهم لاتصالهم الشديد بالخلافة العباسية التى كانوا عمدها ، والأساس الأول فى قيام دولتها ، وكان منهم الوزراء والولاة تشجعوا على هذا التحدى للعربية وأهلها ، ولكن هذه الحملة الشعراء ، قد وجدت قوما غيورين على هذه اللغة فوقفوا يتصدون لمحاولات الشعوبيين ، وهبوا أنفسهم للرد على مطاعين هؤلاء الشعوبيين .

ولقد تصدى لهذه الحملة الشعراء من جانب الشعوبيين جماعة من العلماء الذين تعصبوا للعربية ومكنهم كما ذكر الدكتور / حسن جاد أن المقاومة الأدبية لهذه الدعوة وتلك الضجة فى هذا العصر تبدو من الضآلة والقلة ، بحيث لا تكفى لمقاومة الشعوبيين ، وإنما هى صورة خافتة ، لرغبة شعراء العرب فى تملق الموالى وهم ذو سلطان حتى كان لهم من يبالغ فى مدحهم والتقرب إليهم ويقول الدكتور / حسن جاد فى المقارنة بين الشعر العباسى والشعر الأموى وقد يصبح أن تقارن بين موقف الشعر العربى فى العصر الأموى بموقفه فى العصر العباسى ، بأنه كان فى الأول

مهاجما فى كثير من الحيان ، تبدو فيه الأنفة ويسرى فى أعطافه التكسير والاستعلاء ، أما فى الثانى فقد كان موافقا وإن شئت قلت : قد كان اضعف قوة من الدافع .

وذلك لأن الموالى قد اتسع سلطانهم فى هذا العصر ، فيعد أن كانوا محرومين مطرودين محاربين فى العصر الأموى الذى كم أفواههم أن نبث أحدهم بكلمة يفتخر فيها بأصله أو يحط من شأن العرب إلا جوزى على ذلك من قبل الخليفة الحاكمة أو نبرة من أصحاب القوة والسلطان .

وهذه صيحة من الصيحات الحاقنة فى هؤلاء العصر العباسى يرسلها أبو خالد المهلبى فى رثاء التوكل بعد قتله من الترك فتراه يظهر اللوعة والأسى لفقد الخليفة ، ويتحسر على قتله بيد الأعاجم ، ويتمنى لو دافع عن الخليفة لسيفه ، وجاهد الأعداء بروحه ، وأبلى فى الدفاع عنه بلاء حسنا فيقول :

لا حزن إلا أراه دون ما احد ... وهل كمن فقدت عيناى مفتقد
لو أن سيفى وعقلى حاضران له ... أبليته الجهد إذ لم يبله أحد
جاءت منيته والعين هاجمة ... هلا أتته المنايا وألقا قصد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة ... لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خليفة لم يمثل ما قاله أحد ... ولم يضع قتله روح ولا جسد
لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم ... خنقتم وضيقتم من كان يعتقد
قوم هم الأصل والأنساب تحميهم ... والمجد والدين والأرحام والبلد .

وممن تصدى لهذه الحركة الشعوبية الجاحظ الذى عاش طول حياته على صلة وثيقة بالخلافة العباسية بينه وبينها علاقات مودة وحب واحترام ، فوهب نفسه للدفاع عن العرب والعروبة بشعوره العربى المتدفق ومحبة للدولة وتأييده لها على حرب الشعوبية والتهوين من شأنهم ورفع قدر العرب عليهم من كتابة البيان والتبيين وكتابة : الموالى والعرب رسالته التائبة وفى مواضع أقوى ، وحارب عصبية الموالى لكراهيته للعصبية التى هلك بها عالم بعد عالم ، وبغضه للحمية التى

لا تبقى دينا إلا أفسدته ولا دينا إلا أهلكها ، ومن ثم عنى الجاحظ برد مكامن الشعوب كرده على مطاعنهم فى اتخاذ العرب العصا . [١]

يقول الجاحظ : واصنا هؤلاء الشعوبيين ، ويرد عليهم فى باب العصا مبينا ميزتها وخصائصها وأعلم أنك لم ترقوقا اشقى من هؤلاء الشعوبيين ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول تعبا ، ولا اقل ثمنا من أهل هذه النخلة وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن فى قلوبهم [٢] ثم اخذ يتكلم عن مميزات العصا فقال أو الدليل على أن اخذ العصا ماخوذ من اصل كريم ومعدن شريف ، ومن المواضع التى لا يعيبها إلا جاهل ولا يعترض عليها إلا معاند : اتخاذ سليمان بن داود عليها السلام العصا الخطيئة وطول صلاته ، ولطول التلاوة والانتصاب فجعلها لتلك الخصال جامعة قال الله تعالى " فلما قضينا تليهم الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منشأته فلما ضر تبينت الجن أن لو كانوا تعلمون ألقيت ما لبثوا فى العذاب المهين " [٣] .

قال ابو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان لأنه من أبناء العجم والشعوبية إليهم أميل وعلى قفائلهم احرص ، ولما أعطاهم الله اكثر وصفا وذكرا . وقد جمع الله لموسى بن عمران عليه السلام فى عصاه من البراهانات النظام والعلامات

ما عسى أن يفى ذلك العلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين .

قال تعالى " إِنَّ هَذَانَ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخرِجَاكُم مِنَ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ... إلى قوله تعالى : " وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى " [٤]

فلذلك قال الحسن بن هانئ فى شأن خصيب وأهل مصرحين اضطربوا عليه:

فإن تك فرعون فيكم بَقِيَّةٌ ... فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

---

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢ وما بعدها .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ جـ ٣ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سورة سبأ الآية ١٤ .

(٤) سورة طه الآيات من ٦٣ : ٦٩ .

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليظ الناس والتمويه عليهم إلا بالعصى :

وقال عز وجل : " وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَون إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِين حقيق عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى الله إلا الحق قَدْ جئتكم بَبَيِّنَة مِنْ رَبكم فأَرسَلَ مَعِيَ بنى إسرائيل قَالَ إن كنت جئت بآية فأْت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى نصاه فإذا هى ثعبان متين " [١] .

وقال تعالى : " فلما ألقوا سحروا أعْنى الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم - وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون . [٢]

ألا نرى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصى والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البرهان ما جعل للعصا . وقدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه لقدرته فى تصريف العصا - وهكذا دافع الجاحظ دفاعا قويا عن العربية وأهلها .

ولقد برز الجاحظ فى هذا الميدان من لم يقل عنه دفاعا مواجهة الأباطيل الشعوبية ، إن لم تكن أكثر - وكان مما يدعو إلى الإعجاب أن يكون المدافع عن قدر العرب من غير العرب ، فلقد أدرك ابن قتيبة ذلك العالم والأديب الفارس الأصل الذى فهم حقيقة الإسلام وجوهره وعدالته ، والذى حرص على أن يعطى كل ذى حق حقه ، فتصب من نفسه مدافعا وهو غير عربى عن العرب ، وكان له دور عظيم فى هذا السبيل ، ومن مؤلفاته " كتاب ا العرب " ويسميه بعضهم . كتاب تفضيل العرب ، ونسبه آخرون (فضل العرب) [٣] وقد ذكر ابن عبد ربه : انه عقد فصلا بعنوان كتاب اليتيمة فى النسب وقبائل العرب ، وأشار إلى أنه أخذه من كتاب تفضيل العرب لابن قتيبة ومن أشد مؤلفاته كذلك . كتاب أدب الكاتب الذى وصفه ابن قتيبة لأنه

---

[١] سورة الأعراف الآية ١٠٥ :

[٢] نفسه ص ١٣٥ .

[٣] ابن قتيبة للدكتور / عبد الحميد سند الجندى ص ١٤٤ .

خشى على العربية أن تنحدر أو يقل إدراك الناس لدقائقها ومعرفة الفروق بين مترادفاتها كما يقول فى مقدمة الكتاب .

وهكذا يبرز دورا أبى قتيبة الفارس ، ولكنه المسلم الغيور والذى نزهه إيمانه الصحيح عن أن ينزع نزعة الشعوبيين وقد عرف العرب فضلهم ويكفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبعوث رحمة للعالمين من العرب .

فكان الحب العميق للإسلام ولرسوله صلى الله عليه وسلم يدفعه هو وأمثاله الأتقياء إلى أن يتعصبوا للعرب ، ويشيدوا بفضلهم على أمم الأرض جميعا [١]

وقد عرض ابن قتيبة لمآخذ الشعوبية واحدا واحدا ، فندها وبين أوجه الخطأ فى كل منها ، وجعل من مثالب العرب مناقب فهم يزرون بقوس صاحب ويذهبون فى ذلك إلى خساسة العود وقلة ثمنه . ولكن هذا كلام يقال على مذاهب التجار والسوق فى الرهون والمعاملات . وإنما رهنها العرب لما فى ذلك من معنى المسالمة وكف الأذى ، لأن سلاح الرجل عزة وشرفه وقد ساق ابن قتيبة أمثلة لبيان هذه لعادة ، عند العرب فهذا شيار بن عمرو الغزاوى قد ضمن لبعض الملوك ألف لعبروا ورهنه قوسه فقبلها منه على ذلك وساقها إليه وفيه يقول القائل :

ونحن رهنا القوس ثم تخلصت يألف على ظهر الغزاوى اقرعا

ويستخلص من ذلك أنك إذا رأيت العرب تنسب إلى شىء خسيس فى نفسه ذلك إلا لمعنى شريف فيه . [٢]

ويعجب الدكتور / عبد الحميد سند الجندى : باعتصام أبى قتيبة بالأنصارى ما وسعه ذلك ، فهو لا يضيف إلى العرب من المفاخر ما ليس لها فيقول : ولم يدع العرب أنه كان للعرب فى دولة العجم مثل ملكها وأموالها وعددها وسلامها وحريرها وديباجها .

---

[١] ابن قتيبة للدكتور / عبد الحميد سند الجندى ص ٥٤ .

[٢] نفسه ٢٨٢ ، ١٨٣ .

ويعجب ابن قتيبة من ادعاء هؤلاء الأعاجم أنهم من أبناء إسحاق وهو ابن سارة الحرة ، بينما العرب من نسل إسماعيل وهو ابن هاجر الأمة ويقول قائلهم : فى بلدة لم تصل عكل بها طنبا ولا خباء ولا لكل وهمدان .

ولا لجرم ولا بهراء من وطن ... لكنها لبنى الأحرار أوطان
أرض تبنى بها كسرى مناسكه ... فما بها من بنى اللحتاء إنسان

فبنوا الأحرار عندهم العجم من ولد إسحاق بن سارة ، وبنو اللحتاء عندهم العرب من ولد إسماعيل بن هاجر. ويدفع ابن قتيبة ذلك بأن كل أمة ليست لحتاء . وهاجر قد طيبها الله من كل دنس ، وارتضاها للخليل فراشا ، وكانت اخطى نسائه عنده ، وقد شرفها الله بأن جعلها أما لإسماعيل ومحمد عليها الصلاة والسلام . [1]

ثم يمدح ابن قتيبة على التاريخ يستأويه ما يدعم به مجته فذكران الإمام أنجبن بعض عظماء الخلفاء والقواد والخيار وكرام الناس وابن قتيبة لا يسلم بأن العجم من أولاد إسحاق فيقول : والنساب لا يعرفون لأهل فارس ولا للنبيط فى إسحاق للنبيط فى إسحاق بن إبراهيم حظاً وهو يبين ذلك بذكر من نسلوا من إسحاق ، ومن نسلوا من أخيه إسماعيل بالتفضيل مما يمحق ادعاءهم الانتساب أبى إسحاق.

ثم أخذ يقارن بين العرب والعجم ، ويبين وجوه الأفضلية عند العرب قائلا : ثم تتساوى العرب وفارس فى أن الفريقين ملكوا وتفضلها العرب بأن ملكها ناسخ ، وملك فارس منسوخ وتفضلها بأن ملكها متصل بالساعة ، وملك فارس محدود ، وتفضلها العرب بأن ملكها داغل فى أقاص البلاد داخل فى آفاق الأرض ، وملك فارس شظية منه .

وابن قتيبة فى دفاعه عن العرب ورد مطاعن الشعوبية يؤثر الصدق دائما ن فلا يفترى على الفرس ، ولا يضيف إلى العرب من المكارم ما ليس لهم ن ولكنه يتخذ سبيل الإقناع بالمقارنة الصائبة الدقيقة ، و لا بمتعة أصالته من الفرس ، أن يعطى كل ذى حق حقه ، وان يبين الفاضل من المفضول ، فنراه يقول . ولا أنجس

---

[1] ابن قتيبة للدكتور / عبد الحميد سند الجندى ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

أحدا حقه ، ولا أتجاوز به حده فلا يمنعنى نسبى فى العجم أن أدفعها عما تدعيه لـــها جهلتها ، وأرجو ألا يطلع والمعقول وأهل النظر منى على إيثارها ولا تعمد التمويه.

ويمتاز ابن قتيبة عن الجاحظ الذى رد على مطاعن الشـــعوبية فـــى كتابـــه العصا مائه فالجاحظ لا يتكلم إلا عن العصا وما شابهها مما يعد من لـــوازم العـــرب كالمخصرة والفرس ونمو ذلك ، وبدافع عن استعمال العرب لها ، ويبين مزاياهـــا ، يورد حكايات فى شأنها أما ابن قتيبة فهو المحامى القدير الـــذى يتنـــاول مطـــاعن الخصوم ويفندها ويرد عليها فى منطق قوى سليم ، ثم ينقب عن مثاقبهم فيســـودها ، أو من مناقب العرب فينشرها فى غريمين أو كذب وبمعنى ابن قتيبة فى بيان منـــاقب العرب ، ورد مطاعن خصومهم وه يسوق فى خلال ذلك القصص والحكايـــات التـــى تبين صفاتهم العالية ، وثم يطعم ذلك بما اثر عنهم من رافع الشعر وبليغ الحكم مثـل قول قيس بن عاصم يذكر قومه .

لا يقطنـــون لعيـــب حـــــارهم وهـــم لحفـــظ جـــواره قطـــــن

وقول مسكين الدارمى فى رعاية الجار :

نـــارى ونـــــار الجـــار واحـــدة وإليـــه قبلـــى تـــنزل القـــــدر
مـــا ضـــر جـــارا لـــى يحـــاورنى ألا يكـــــون لبابـــــه ســـــتر

وقول الخطيئة بذكر محاسن قومه :

أولئك قوم ان بنو احسنوا إلينا وإن عـــاهدوا أوفـــوا وإن عقـــدوا شـــدوا
يسوسون أحلاما بعيداً أنابها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد .

وقول أو طاقة بن سهيبة فى إكرام الضيف .

وما دون ضيفى من تلا وفخوره إلـــى النفـــس إلا أن تصـــان الحلائـــل

وغير ذلك من الأشعار الرافعة المنثبة فى الكتاب ن وكلها ناطقـــة بـــا كـــان للعرب من صفات جميرة وشيم عالية .

وهكذا أخذ يدافع ابن قتيبة عن العرب ويرد على مطاعن غيرهم عليهم وهو مؤمن صادق الإيمان ، لا يميل فى نقده ورده إلى عصبية لبنى جنسه وفى الحقيقة أن حركة الشعوبية التى استحلت وعظم خطرها فى العصر العباسى الذى شهد تغلغل الموالى فى الدولة ، بل كانوا الوزراء والولاة فيها مما أذكى هذه الحركة وزاد من ذيوعها ولا شك أن هذه الحركات والجماعات والأحزاب التى كانت فى العصر الأموى ، وتلك سياسة الأمويين فى عصرهم ، بأن أحيوا العصبية الجاهلية والتباهى بالأنساب والأحساب ، وغيرها ممن أخمدها الإسلام ولكنها عادت للظهور مرة أخرى فى العصر الأموى ، وكل ذلك قد أثرى الأدب وعدد أغراضه ومراميه ، ولو لكل هذا التراث الشعرى ، لكان ذخيرة لا تنفد ، وفى الحقيقة أن هذه الأشعار وهذه لآداب قد أفادت الأدب العربى وأضافت إليه أغراضا أخرى .

الخاتمة

الشعوبية نزعة من النزعات التى ظهرت فى العصر العباسى ، تزعمها الموالى الذين لم يتمكنوا من إظهارها والإعلان عنها فى العصور السالفة وكلما وجوا فرصة لإعلانها والتعبير عما فى نفوسهم أخمدها الولاة بل أنزلوا بفاعلها أشد العذاب ، ودليلنا حكاية إسماعيل بن يسار حين وقدوه على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك والذى أنشد إسماعيل من يسار قصيدة فى حضرته نال فيها من العرب ومدح نفسه فأمر بأن يفط فى الماء حتى كادت ترهق نفسه .

أما فى هذا العصر العباسى الذى نحن بصدد البحث فيه قد أتاح للموالى أن يظهروا شعوبيتهم ويتعصبوا لها حتى صارت مذهباً يقتنيه بعض الشعراء الموالى لإظهار ما فى نفوسهم من غل وحقد طالما امتلأت به قلوبهم غيظا وحنقا ، فقد كانت لهم اليد العليا والفضل الأكبر فى قيام هذه الدولة فقد شاركوا فى إدارتها وحكمها ، فكان منهم الوزراء والولاة وقد تملقهم بعض شعراء العرب ، ومدحهم ، فأعلنت الشعوبية عن نفسها وقام جماعة من الموالى وأعلنوا عن شعوبيتهم فى غير ما حرج او خوف وقد اتبع هؤلاء الشعوبيون طرقا مختلفة فى التعبير عن مذهبهم فى الشعر أو بتأليف الكتب فى الشعر أو بتأليف الكتب ويعنون التقصص والحكايات فى

الطعن على العرب والحط من شأنهم ، وتفصل غيرهم عليهم ، والتحدث من مناقبهم واقط نالهم ، والذم فى العرب واختلاف الأكاذيب والصفات الرذيلة للخط من شأن العرب .

وفى الجانب الآخر فلم يقف الشعراء العرب والعلماء مكتوفى الأيدى أمام هذا التحوى ، فقد قام جماعة ، وهبوا أنفسهم للدفاع عن العرب والدين وإظهار مناقبها والخط من شأن الشعوبين الذين تطاولوا على الخط من شأن العرب وإظهار مثالهم .

ولا شك أن هذا تراث أدبى فنرى كان أو شعرى ، وهو كثير أبان عن الحركة الثقافية الواسعة فى هذا العصر ، وكان اختلاط العرب يقيرهم من الشعوب التى فتحوها أدنى ذلك إلى إثراء الأدب وامداده بالأساليب والمعانى والأطيلية ، كما أدت إلى تنوع الثقافات من عربية ويونانية وفارسية ، مما أدى إلى ازدهار الحضارة فى البلاد العربية التى تمثلت فى الترجمة والنقل ، مما استحق أن يسمى هذا العصر وهى العصور الأدبية ، هذا وبالله التوفيق

د/ إسماعيل عبد اللاه مصطفى

مدرس الأدب والقصر كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين بقنا

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم " كلام رب العالمين " .

٢- الأدب فى عصره الذهبى للدكتور / عبد الرحمن عثمان .

٣- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ط الهيئة العامة للكتاب .

٤- ابن قتيبة للدكتور / عبد الحميد سند الحمدانى - سلسلة أعلام العرب .

٥- البيان والتبين للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجى القاهرة

٦- الشعر العباسى تطوره وقيمة الفنية للدكتور محمد أبو الأنوار .

٧- الشعوبية فى الشعر العربى للدكتور / حسن جاد .

٨- العقد الفريد للفقيه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ت : محمد سعيد العريان دار الفكر بيروت .

٩- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبن رشيق القيروانى تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد دار الجبل بيروت - لبنان .

١٠- الفهرست ابن النديم .

١١- الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - مكتبة العارف - بيروت .

١٢- تاريخ الشعر العربى فى العصرين الأول والثانى من خلافة بنى العباس تأليف د/ محمد عبد العزيز الكفراوى دار النهضة مصر .

١٣- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى دار المعارف .

١٤- خزانة الأدب لسان العرب لعبد القادر النصراوى ت: عبد السلام هارون الهيئة العامة للكتاب .

١٥- زهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم الحصرى القيروانى تحقيق على محمد البخاوى ط لبس البابى الحلبى .

١٦- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ط مصر .

١٧- شروق الإسلام من جريرة العرب للدكتور / محمود محمد زيادة دار الطباعة المحمدية .

١٨- ضحى الإسلام تأليف أحمد أمين مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٤م .

١٩- طبقات الشعراء لابن المعتز : تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف .

٢٠- عصر المأمون للدكتور / أحمد فريد الرفاعى ط دار الكتب المصرية .

٢١- عيون الاخبار لابن قتيبة م دار الكتب المصرية .

٢٢- لسان العرب لابن منظور ت: مجموعة من المحققين دار المعارف .

٢٣- محاضرات الأدباء ومحاضرات الشعراء لبلغاء لأبى القاسم .

٢٤- مرجع الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن القاهرة ١٩٣٨ .